الجمهـــورية الجزائريـــة الديمقراطية الشعبيـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون–تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مسار علوم الإنسانية شعبة تاريخ

العلاقة بين السلطة الفرنسية الاستعمارية وسكان وادي ميزاب من خلال اتفاقيةالحماية1853م

مذكرة مقدمة لنيل شهـادة الماستر تخصص تاريـخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

فراحات نصيرة

مخطاري أحلام

إشراف:

أد ة حباش فاطمة

أعضـاء اللجنـة المناقشـة	الرتبة العلمية	الصـفـة
أ. د.لزغم فوزية	أستاذة التعليم العالي	رئيساً
أ د.حبـاش فاطـمة	أستاذة التعليم العالي	مشرفـا
د.حسنة كمال	أستاذ محاضر–أ–	مناقشاً

السنـــة الدراسيـــة:2024/2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

نتوجه قبل كل شيء إلى الله عز وجل بالشكر العظيم والامتنان الوفير على ما منحنا إياه من همة العون والتوفيق والسداد

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)

وصلى الله على سيدنا محمد نور الأبدان وضيائها وطب القلوب، ودوائها أحب خلق الله إليه، كما لا يفوتني الذكر أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير.

الأستاذة المشرفة الدكتورة فاطمة حباش أطال الله في عمرها على ما قدمته لنا من توجيهات ونصائح.

كما نقدم جزيل الشكر لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث وبالأخص الأستاذ فرحات عبد القادر.

كما نقدم جزيل الشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ حسنة كمال والأستاذة لزغم فوزية.

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله أما بعد الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

إلى سندي وداعمي أبي الغالي وحفظه الله ورعاه إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها أمي الحبيب.

إلى والدي أهدي ثمرة جهدي.

إلى رفيقة المشوار التي قاسمتني لحظات "نصيرة".

أحلام

الإهداء

قال تعالى (وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ)

اللهم لك الحمد حمداً طيباً مباركاً والشكر على نجاحي.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ..ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى أمي وأبي،أختي وإخواتي أهدي ثمرة تخرجي. شكراً لكم على وجودكم ودعمكم الدائم.

إلى الأساتذة الكرام، خاصة الأستاذة حباش فاطمة أتقدم لك بجزيل الشكر .

نصيرة

قائمة المختصرات باللغة العربية:

تر:	ترجمة
تق:	تقديم
ج:	جزء
ط:	الطبعة
د.ت:	دون تاريخ
د. ط:	دون طبعة
د. م:	دون مكان
ص:	الصفحة
ص ص:	من الصفحة إلى الصفحة

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية:

page	p
page continue	pp
Ouvrage Précité	Op cit
Ibidem	Ibid

مقدمـــــة

لقد كانت منطقة وادي ميزاب من بين المناطق الجزائرية التي برزت إسهاماتها في مختلف مناحي الحياة المجتمع الجزائري عبر العصور، ولازالت إلى يومنا هذا فهي منطقة نائية معزولة، أدى فيها مجلس العزابة دور مهم في إقرار العدل وتنظيم المجتمع الميزابي الذي كان له الفضل في الحفاظ على المذهب الاباضي من الاندثار، وأسسوا قراهم السبع تحت إشراف مجلس عمي السعيد المجلس الأعلى للعزابة الذي يهتم بمختلف القضايا الكبرى لمجتمع الميزابي،إذ برز دورهم في الرد على العدوان الصليبي على سواحل البلاد 1518م.

وبعد النكبة التي حلت بالجزائر ودخول الاستعمار الفرنسي سنة 1830م وتدهور الأوضاع لم تتأخر الجزائر في خوض غمار المقاومة الوطنية ،ودحر المستعمر إلا أن هذا الأخير تمكن من توسيع والتغلغل في أرجاء الوطن شمالاً وجنوباً، وأحكم سيطرته على الجزائريين، مما أدى إلى إقحام المجتمع الميزابي ورأوا أن مقاومته عسكريا في حدود منطقة وادي ميزاب لن يجدي أي نتيجة فلجأوا إلى عقد اتفاقية الحماية معه ليضبطوا فيه تحركاتهم تجاههم لجأت فرنسا لأسلوب مناورة ومراوغة لفرض سيطرتها على منطقة وادي ميزاب، فدخلوا في علاقة ثنائية في مختلف المجالات خاصة السياسية والاقتصادية والتي انعكست على مسار المقاومة في الجنوب بحيث لم تحل الثمانينات حتى أصبحت منطقة وادي ميزاب تحت الحكم العسكري لفرنسا وعلى إثر هذا الالحاق تغيرت العلاقة من طرف السلطة الاستعمارية.

ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لدراسة موضوع العلاقة بين السلطة الاستعمارية وأعيان وادي ميزاب من خلال اتفاقية 1853م، نظراً لأهمية الأبعاد السياسية والعلمية ولعل من الدوافع التي دفعتنا للوقوف عنده:

1-معرفة نضال الميزابيين ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان استثنائياً بسبب الوضعية القانونية جراء اتفاقية 1853، وادعاء فرنسا باحترام بنودها طيلة فترة الاحتلال

2- جاء بحثنا هذا لإبراز تلك الخصوصية في العلاقة بين السلطة الاستعمارية ومنطقة وادي ميزاب وانعكاساتها على المقاومة الوطنية في الصحراء من خلال مجريات اتفاقية1853.

وقد تبين لنا من خلال دراسة موضوع البحث أن أهميته لا تكمن في الجانب التاريخي فقط وإنما في جغرافية المنطقة ومميزاتها عن باقي مناطق البلاد وكون أن المنطقة قد تغيرت أوضاعها مع السلطة الاستعمارية سواء لما عقدت اتفاقية 1853م أو لما ألحقت عسكرياً 1882م.

إن الإشكالية التي تم طرحها لمعالجة الموضوع هي: **إلى أي مدى كان لاتفاقية الحماية 1853م أثار وانعكاسات ا المجتمع الميزابي والمقاومة الوطنية بالصحراء؟.**

وللتوضيح أكثر طرحنا مجموعة من التساؤلات منها:

- ما هي أهم أسباب ودوافع من إبرام الاتفاقية؟وما أهم بنودها؟
- ما هي خصوصية العلاقة بينهما؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا موضوعنا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة كخلاصة لضم بعض من النتائج :

1-مدخل تمهيدي فقد عنون ب "لمحة جغرافية تاريخية عن منطقة وادي ميزاب قبل الاحتلال"والذي كان بمثابة مدخل لمعالجة بحثنا، وقد تطرقنا فيه إلى جغرافية المنطقة وأصل تسمية بني ميزاب ومدنها السبع كما تحدثنا عن الأوضاع العامة في منطقة وادي ميزاب في مختلف المجالات قبيل الاحتلال الفرنسي1830م.

2-الفصل الأول:جاء بعنوان اتفاقية وادي ميزاب 29أفريل1853م وفيه استعرضنا دوافع عقد الاتفاقية ومجريات إبرامها والأهداف العلنية والضمنية من عقده

3-الفصل الثاني فقد عنون ب العلاقة بين السلطة الاستعمارية وأعيان ميزاب من خلال اتفاقية 1853م وتطرقنا فيه إلى العلاقة في الجانب السياسي العسكري والجانب الاقتصادي والجانب الثقافي الديني.

4-الفصل الثالث جاء بعنوان انعكاسات الاتفاقية 1853م على أهل ميزاب والمقاومة الوطنية في الصحراء والذي يندرج ضمنه ثلاثة مباحث الأول انعكاساتها على سكان ميزاب والثاني انعكاساتها على المقاومة في الصحراء الثالث على مسألة التجنيد الإجباري.

وخاتمة كخلاصة لبحثنا والتي ألحقت بمجموعة من الملاحق المصادر والمراجع.

ومن الدراسات السابقة التي استفدنا منها رسائل وأطروحات جامعية من بينها: رسالة لنيل دبلوم بعنوان"نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب وهي في التاريخ الإسلامي، نوقشت في جامعة الجزائر معهد التاريخ سنة 1986-1987م أفادتنا في الأوضاع الدينية لمنطقة وادي ميزاب.

والعمل الثاني بن عمر الحاج موسى بعنوان"القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام ميزاب 1962-1902م "وهي في تاريخ الجزائر المعاصر،نوقشت بجامعة الجزائر 02سنة2008-2009م، حيث أفادتنا في دور لميزاب في قضية التجنيد الإجباري.

والعمل الثالث بعنوان"دور ميزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية

1930-1962م "للطالب محمد بوسعدة وهي في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، نوقشت في جامعة الوادي سنة 2020-2019م، وقد استفدنا منها في الفصل الأخير

إن طبيعة موضوعنا جعلتنا نعتمد في دراستنا على مجموعة من المناهج :

المنهج التاريخي الوصفي الذي تطرقنا من خلاله إلى حقائق تاريخية من خلال ذكر بنود اتفاقية1853م ووصف أحداث الثورات.

المنهج التايخي التحليلي الذي مكننا من الوقوف على طبيعة العلاقة وفق اتفاقية الحماية وأثرها على المجمع الميزابي.

أما فيما يتعلق بالمادة العلمية التي اعتمدنا عليها لإنجاز بحثنا كانت متنوعة بين المصادر والمراجع تأتي في مقدمتها

1-مخطوط"الرسالة الشافية" لصاحبه الشيخ امحمد بن الحاج يوسف اطفيش الميزابي والذي أفادنا في أصول بني ميزاب وتأسيس مدنها

2-ومن المصادر التي تناولت تاريخ بني ميزاب "أضواء على وادي ميزاب لمفدي زكريا والذي هو عنوان حصص إذاعية بثتها إذاعة التونسية خلال 1960م فالكتاب في الأصل نسخة أعداها الشاعر مفدي زكريا إلى الأستاذ المناضل عبد الحميد مهري بقصد إذاعته من إذاعة تونس وظلت النسخة محفوظة لدى الأستاذ عبد الحميد مهري والذي بدوره سلمها إلى مؤسسها مفدي زكريا مفدي زكريا فيما بعد والذي استفادنا منه في كل البحث.

3-كتاب "نهضة الجزائر وثورتها المباركة الجزء الأول لمحمد علي دبوز والذي تحدث فيه عن مختلف المجالات في الجزائر عامة، وقد استفادنا منه في الأوضاع الاقتصادية لمنطقة بني ميزاب.

أما المراجع التي اعتمدنا عليها كتاب "تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية" لمؤلفه الحاج سعيد يوسف بن بكير وقد تناول الكتاب أصول بني ميزاب ونشاطاتهم، عدنا إليه في الكثير من المرات.

2-كتاب حمو عيسى النوري" دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا الجزء الأول" والذي تناول تاريخ الميزابيين في مختلف مراحل التاريخية وقد استفدنا منه في كل الفصول.

3- كتاب معالم " النهضة الإصلاحية عند اباضية الجزائر" من تأليف قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج،وقد تناول فيه الأوضاع العامة لمنطقة وادي ميزاب وتأثير حلقة العزابة على النسق الاجتماعي وهذا ما ساعدنا في دراسة المنطقة.

ومن بين المصادر باللغة الفرنسية التي اعتمدنا عليها:

1-كتاب Le M'zab et Les Mozabites لصاحبه شارل أمات Charles Amat تناول مجريات اتفاقية الحماية1853م والذي استفدنا منه في دوافع اتفاقية والعلاقة بين المزابيين والسلطة الاستعمارية .

2- Le M'zab et Son Annexion a La Franceلصاحبه كومندان روبان C.Robinكان عبارة عن دراسة طبيعية واجتماعية لمنطقة وادي ميزاب وقد استفدنا منه في جغرافية المنطقة والإحصاءات متعلقة بالجانب الاقتصادي.

3-كتاب Le Sahara Algérienne لـ Dumas تحدث عن جغرافية صحراء الجزائرية وعن جغرافية منطقة وادي ميزاب ،والذي استفدنا منه في تأسيس قري وادي ميزاب.

4-كتاب De L'indigénate Son Application Aux Mozabites لـ إبراهيم بن يوب Ibrahim Ben Youbوالذي هو في الأصل عبارة عن مراسلات بين شيوخ ميزابيين وحكام فرنسا والذي استفدنا منه في العلاقة بينهما.

وقد واجهتنا عدة صعوبات في انجاز هذا الموضوع ومن بينها صلة المصادر المتخصصة والتي لا يمكن الحصول عليها إلا في ولاية غرداية.

الفصل التمهيدي:

لمحة جغرافية وتاريخية عن منطقة وادي ميزاب قبل الاحتلال

أولاً:جغرافية منطقة بني ميزاب.

ثانياً:أصل التسمية.

ثالثاً:تأسيس مدن الميزابية

رابعاً :الأوضاع العامة لمنطقة وادي ميزاب

تمهيد:

شهدت منطقة وادي ميزاب كغيرها من المناطق الجزائرية بتنوع في مجالات والفئات بحكم أن لديها حكم ذاتي مند العصور.

أولا : جغرافية منطقة بني ميزاب

تقع بلاد الشبكة على هضبة صخرية كلسية تقع شمالي الصحراء الجزائر وسميت بلاد الشبكة لأنها تتخللها أودية عديدة اهمها :وادي زقرير، وادي ميزاب،وادي النسا ووادي متليلي تنبع من الشمال الغربي وتنتهي في الجنوب الشرقي .تبلغ مساحتها حوالي 38ألفكلم مربع يحدها من الشمال وادي بوزبير، وغربا وادي زرقون أماشرقا زلفانة والقرارة، وتختلط جنوبا مع بلاد الشعانبة،مركزها الحالي مدينة غرداية[1]وتشكل منطقة وادي ميزاب الجزء الأكبر من بلاد الشبكة حيث تضم سبع مدن[2] خمس منها متجاورة وهي العطف، بونورة ، المليكة ،بنو يزقن وغرداية واثنتان تبعدان عنها وهما مدينة بريان التي تبعد عنها بأربعة وعشرين ميلا وتقع في شمالها الشرقي ومدينة القرارة التي تبعد عنها أربعين ميلا ونصف الميل وتقع في شمالها الشرقي، [3]وتبعد عن مدينة الجزائر بمسافة 600كلم مربع .تتميز المنطقة بعدة خصائص طبيعية حرارة حارقة في الصيف وهواء جاف لا رطوبة فيه وما يزيده جفافا الرياح المثيرة للرمال

[1] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3،المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد ،غرداية، 2014، ص01.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظامها وقوانينها ومجالها وحالتها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984، ص183.

[3]محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1 ،عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص152

القادمة من الجنوب الغربي خاصة نهاية الشتاء.[1] وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي (Bourdieu)بورديو"مناخ جاف يتميز بعدة تجاوزات الصيف حار والتغيرات الكبيرة في درجة الحرارة وجفاف شديد للهواء" [2]ويؤكد في هذه النقطة كذلك الكاتب الفرنسي روبان (robin)المختص في دراسة منطقة وادي ميزاب حيث يقول "وتهطل الأمطار بشكل قليل في الشبكة ووادي ميزاب ولا تهطل إلا كل ثلاث أو أربع سنوات وعندما تحدث هذه الظاهرة النادرة فإنها فرصة كبيرة في البلاد"[3]

ثانيا : أصل تسمية بني ميزاب

تعددت الروايات التاريخية حول أصل تسمية كلمة بني ميزاب ويقال أن التسمية كانت في البداية الأمر بني مصعب نسبة إلى القبيلة التي عمرت المنطقة[4] ويقول المبارك الميلي " ومن أفخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهم اليوم ميزاب والزاي والصاد متقاربان في اللسان البربر بحرف يقرب مخرجه من مخارج الزاي والصاد والسين[5] ومصاب هذا هو مصعب بن محمد بن

[1] قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الاصلاحية عند الاباضية الجزائر، ط1، المطبعة العربية، غرداية،2011، ص56.

[2] Bourdieu Pierre, Sociologie De L'Algérie, Huitiéme édition, paris, [sans année], p47.

[3] Commondant Robin ,Le Mzab et son Annexcien a la France.Imprimeur, libraire de L'acdémie ,Alger ,1884,P14

[4] قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق ،ص57.

[5] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، تق:محمد الميلي، ج2، [د.م]،[د.ت]، ص214.

بادين انتقل بنوه إلى الشبكة مع بني إخوته عبد الواد وتجين وزردال ،وهم من الطبقة الثانية من زناتة ".[1]

ومع مرور الزمن تحوت التسمية من بني مصعب إلى بني ميزاب وبتقارب الصاد والزاي وتعدد اللهجات تحولت الكلمة من مصعب الى مصاب ثم مزاب ثم ميزاب حيث ومايؤيد هذا الراي إبدال حرف الصاد زايا مفخمة في بعض الكلمات العربية مثل الصلاة والصوم ،اللتين أصبحت تزاليت وأزومي.[2]

أما بالنسبة لأصل الميزابيين فقد اختلف المؤرخون حول أصله حيث تؤكد الكتابات الفرنسية أن أصول بني ميزاب أصول بربرية خلص ويؤكد في هذه النقطة الكاتب الفرنسي بول سولييت Poul Soleillet"سكان مزاب الذين يطلق عليهم المزاب أو بني مزاب يشكلون شعبا صغيرا من البربريين يتراوح عددهم بين خمسين إلى ستين ألف نسمة والذين تمكنوا من حماية أنفسهم من أي تلوث أجنبي "[3]،والبربر هم أبناء بن تملا بن مازيغ ويسمون أنفسهم أمازيغ نسبة إلى جدهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام[4] ويقول ابن خلدون بأنهم سميو بالبربر لكثرة بربرتهم في حين يؤكد الشيخ محمد علي دبوز: "الميزابيين هم مزيج من العرب والبربر ففي عروقهم دماء العرب والبربر جميعا فالبربر كانوا يقطنون المغرب في رؤوس الجبال المتقطعة التي

[1] يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق،ص6.

[2] Paul Soleillet, l'afrique occidentale :Algérie, Mzab,Tildikelt, challamel ainé ,paris ,1877, p71.

[3] يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص5.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج07، دار الأفكار الدولية،[د.م]،[د.ت]،ص12.

لا تعرف لا حضارة ولا دولة"[1] ويؤكد أيضا في هذا الاتجاه الأستاذ علي يحي معمر قائلاً:" أن بني ميزاب ليسوا بربر بصفة كلية بل هم من أصول أخرى من الفتح الإسلامي وأصبحوا يشكلون مجتمعا يقطن منطقة وادي ميزاب"[2]وأشار أيضا الأستاذ حمو عيسى النوري أن: "بنو ميزاب أعراش توافدوا إلى وادي ميزاب من أقاصي البلاد فيهم البربر والعرب بعد انقراض الإمامة الرستمية وخراب سدراتة فكونوا في الوادي وحدة قومه ومذهبيه ولغويه، فأصبحوا بحكم التجاوز والمعتقد أمة متماسكة"[3]

وانطلاقا من المصادر والكتابات الفرنسية يمكن القول أن بني ميزاب هم مزيج من القبائل العربية والبربرية،سكنت منطقة وادي ميزاب في فترات متتالية عبر الزمن وكونوا ما يسمى بالمجتمع الميزابي بكل مقوماته ،وساهموا في بناء المنطقة وتطويرها وتشييد المدن والقصور التي زاد عمرها عن ألف سنة.

***ثالثا:* تأسيس مدن ميزاب**

بعد سقوط الدولة الرستمية والدمار الذي حل بسدراتة وورجلان ووادي ريغ توالت الهجرة إلى منطقة وادي ميزاب في القرن الخامس الهجري[4] حيث كان للإباضيين دور كبير في تأسيس المدن الميزابية وأساس التكوين التاريخي والثقافي للإباضيين في مزاب وتنظيمها

[1] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المرجع السابق، ص168.

[2]يحي علي معمر، الإباضية في موكب التاريخ،ط3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان،2008 ، ص313.

[3]حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1،وزارة الثقافة، قسنطينة، 2015، ص128.

[4] محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص163.

الاجتماعي وطريقة عيشها.[1]حيث ذهبوا لتأسيس أول مدينة هي العطف،وبعد خمسة ثلاثين عاماً تأسست بنورة ثم غرداية ثم المدن الأخرى، مليكة،بني يزقن ،بريان ثم القرارة.[2]

ما يميز مدن وادي ميزاب أنها بنيت وفق تنظيم دقيق وترتيب محكم فغرداية تقع على الضفة اليسرى لوادي مزاب وأسفل المصب على نفس الضفة تقع مدينة بني يزقن المدينة المقدسة للأطباء والفقهاء الإباضيين ،مدينة مزدهرة موطن أغنى التجار، مليكة ملجأ المحافظة القانونية ، العطف أقدم المدن الميزابية وهي نقطة التحول إلى الازدهار،وبريان المركز التجاري وأخيراً القرارة موطن الحركة الإصلاحية.[3]

1-مدينة العطف: تعد المدينة الأولى التي سكنها الإباضيون سنة(402هـ -1012م) أسسها الشيخ خليفة بن أيغور[4].بها خمس أو ست مائة منزل وأسوارها مزينة بشرق رفات.[5]وتم بناء المسجد في أعلى المدينة بحيث يعتبر مركز اجتماعي وثقافي وديني.[6] وأما أصل تسميتها يرى قطب الأئمة أطفيش أنها سميت بالعطف لانعطافها جانب الوادي لا يراها من

[1] Ibrahim Benyoucef, le M'zab parcours millenaire ,Editions Alpha Alger, 2010, p23

[2] بكير أعوشت، وداي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا،تاريخيا،اجتماعيا،المطبعة العربية، غرداية ،1991،ص65.

[3] Bourdieu Pierre, Op Cit, p49.

[4] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج1، [د.ط]، دار الأمة،[د.ت]، ص239.

[5] Daums, Le Sahara Algérien,études géographiques ,statisitiques et historique Langlois et Leclercq,paris,1845, p88.

[6] Manuelle Roche, Le Mzab Architecture Ibadite en Algerie, Arthoud, paris, 1970, p29.

يسير في الواد ويقال أن اسمها عطفاء ولكن في المخطوطات تم تداولها عطفاوي من نسب العطفاوي وليس العطف.[1]

2-مدينة بونورة: تأسست سنة (437هـ-1045م) أول من سكنها أولاد بن إسماعيل وجماعة بني مظهر التي هاجرت من سدراتة ،[2] تبعد عن العطف حوالي أربع كيلومترات وهي أصغر مدينة في مدن وادي ميزاب ، يبلغ عدد سكانها 1500نسمة، منظرها القادم من العطف يقدم منظراً خلابا تبدو وكأنها مدينة من العصور الوسطى،تحيط بها أسوار مزينة بأشجار النخيل.[3]

أما بالنسبة لأصل تسميتها فتم نسبها إلى آت بنور نسبة إلى قبيلة زناتية بينما يراها اطفيش إلى نورة فتاة كانت تبيع الورد.[4]

3-مدينة غرداية : تم تأسيسها سنة(477هـ-1084م) من طرف زعماء الإباضية سليمان بن يحي وعيسى بن علوان وأبوجمعة [5]،تقع على الضفة اليمنى لوادي ميزاب عند خط طول 20°غربا وحوالي25° شمالا وهي مدينة بحجم مدينة الجزائر. منازلها مبنية بشكل جيد ومطلية باللون الأبيض وفيها ستة مساجد أحدهم كبير،ولغرداية ثمانية أبواب أهمها باب البرابيشة ،باب سلم ،باب الرجى، باب جديد،باب أولاد نايل ،باب المراعرة ،باب الحوش.[6] وفي الشرق يقع الحي اليهودي وهو معزول عن بقية المدينة بجدار يعيش في هذه المنطقة جالية

[1] محمد بن يوسف اطفيش، الرسالة الشافية، مكتبة الحاج صالح لعلي، بني يزقن، ص37.

[2] بكير أعوشت، وداي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا،تاريخيا،اجتماعيا،المطبعة العربية، المرجع السابق، ص66.

[3] A.coyne, Le mzab, Adolphe jourdan, libaraire_ editeur, Alger, 1879, p16.

[4] محمد بن يوسف اطفيش، الرسالة الشافية، المصدر السابق، ص37.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص239.

[6] Daums, Op Cit, p18.

يهودية غنية جدا تتكون من حوالي ثلاثمائة عائلة.[1]وأما تسميتها يقول أطفيش أنها سميت باسم الغار وهو كهف في الجبل واسم امرأة نزلت به وهو معروف إلى يومنا هذا في أعلى الجبل الذي بنيت عليه هذه القرية"داية" فأصبحت تسميتها غرداية.[2]

4–مدينة بني يزقن:تأسست في القرن الثامن هجري1321بعد أن توحدت خمس قرى على مقربة من بعضهم بوكياو، موركي،ترشين،تفلاليت.[3]تقع على بعد 600متر جنوب مدينة بونورة على الضفة اليمنى لوادي مزاب،إنها مدينة صغيرة مقارنة بغرداية ويحيط بها سور يعلوه خمسة أبراج بها ثلاثة أبواب باب نتيسه، باب الغربي ،باب القبلي .[4]

وتعد من أحسن مدن مزاب بناءاً وأنظفها وأغناها وأشدها أخلاقا ولا يمكن لأي أجنبي أن يعيش فيها [5]ويعود أصل تسميتها "يزقن" إلى قوم سكنوا منطقة ازقن.[6]

5/مدينة القرارة:أنشئت في سنة1631ممن طرف أولاد باخه الذين هاجروا من غرداية متوجهين إلى القرارة .[7]فهي تقع على شرق غرداية ويحيط بها سور مرتفع تتخلله ثلاثة أبواب باب الشرقي،باب الغربي،باب الوادي.[8]

---

[1] A.coyne, Op Cit, p18.

[2] محمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص34.

[3] بكير أعوشت، وداي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا،تاريخيا،اجتماعيا، المرجع السابق، ص68.

[4] Daums, Op Cit,p63.

[5] A.coyne, Op Cit,p17.

[6] محمد بن يوسف اطفيش، الرسالة الشافية، المصدر السابق، ص32.

[7] Charles Amat, Le Mzab et le Mezabites,librairie Algérienne coloniale, paris, 1888, p19.

[8] Daums, Op Cit, p62.

وأما عن أصل تسميتها فهناك من يرى أن القرارة لفظة بربرية أصلها قارة وجمعها تقرار وهي جبال لها أشكال بيضوية تآكلت بسبب العوامل الجغرافية مثل المناخ ،الرياح،الأمطار.[1]

6–مدينة مليكة:مدينة تضم مئتين إلى ثلاثة مائة منزل،تقع على الضفة اليسرى لوادي ميزاب جنوب غرداية مبينة على جبل يسمى سيدي عائشة أو العرقوب محاطة بسور يدافع عنه برجان ولها ثلاثة أبواب باب العرقون ، باب العطرش ،باب الحميدو.[2] أنشئت على مرحلتين المرحلة الأولى التي بنيت في مكان يسمى أغرام أوادي في سنة (408هـ-1018م)لكنها اضمحلت منه سنة1123م والمرحلة الثانية في الموقع نفسه على يد جماعة نفوسية إباضية المهاجرة من ليبيا سنة750هـ ويعود نسبها إلى "مليكش " نسبة إلى أحد زعماء زناتة وسميت مليكة لأنها تشرف على القرى الأربع.[3]

7–مدينة بريان:تقع على بعد45 كلم شمال غرداية ،[4] قدر عدد سكانها حوالي 4500 نسمة تقع عند ملتقى وادي السودان على واد بن لوج محاطة بسور وفيها مسجد ذو مئذنة عالية وعدد كبير من مؤسسات العامة مدارس ، بيوت ،حمامات وغيرها.[5]

يعود تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن الحادي عشر(1060 هـ-1690م) من طرف عشيرة الغفافرة التي هاجرت من غرداية، إضافة إلى خروج جماعات من قرى مزاب الأخرى بسبب

---

[1] بكير أعوشت، وداي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا،تاريخيا، المرجع السابق، ص70

[2] Daums, Op Cit, p62

[3] بكير أعوشت، المرجع السابق،ص68.

[4] بلحاج معروف ، العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية ،ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع ،2007،ص63 .

[5] A.coyne, Op Cit, p15.

النمو الديمغرافي، وأما تسميتها الأصلية فهناك من يرى أن بريان نسبة إلى آت برقان وهي خيمة مصنوعة من الوبر وشعر الماعز.[1]

رابعاً :الأوضاع العامة لمنطقة وادي ميزاب

1- الأوضاع السياسية:

أبدى بني ميزاب ولائهم لسلطة العثمانية منذ بداية حكمهم في الجزائر وتجدد ولائهم في العديد من المرات ، إلا أن هذا الولاء كان شكلياً حيث يقول أحمد توفيق المدني "أما كان الميزابيون يهاجرون إلى بلاد التّل باستمرار قصد التجارة والكسب ،فقد اعترفت قصورهم منذ انتصاب الأتراك بالبلاد بالتبعية للديوان ،وإنما كانت تبعية اسمية فقط،فكان استقلالهم مطلق في بلادهم "[2] وهذا مايثبت حرص الميزابيين على إدارة شؤونهم الداخلية بأنفسهم تحت أي غطاء سياسي يتواجدون فيه.

فالعلاقة بين الميزابيين والحكام العثمانيين في الجزائر لم تتخذ طابع رسمي إلا عندما غزت الجيوش العثمانية الأغواط ذلك بأن صالح باي ،بعد أن اضطلع على المدينة ونواحيها عمد إلى الاتصال الرسمي بالميزابيين لتنظيم علاقاتهم بمركز الولاية العثمانية بالجزائر كما أن الميزابيون شعروا بضرورة هذا الاتصال الذي انتهى بعقد معاهدة بين الطرفين تؤمن التجار الميزابيين ومواصلاتهم في كافة المناطق التي يسيطر عليها سلطان العثمانيين ،ولقاء ذلك تضمن لعثمانيين غرامة سنوية تتقاضاها الخزينة العامة للولاية ،فهذه المعاهدة وما عقبها من إجراءات

[1] بكير أعوشت، وداي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا،تاريخيا،المرجع السابق،ص70

[2] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص76.

تطبيقية ورسائل متبادلة بين الميزابيين والولاة العثمانيين بالجزائر تثبت أول اعتراف صريح من ميزاب بكيان ذي صبغة دولية. [1]

2-الأوضاع الاقتصادية :

عند دخول العثمانين إلى مدينة الجزائر في مطلع القرن السادس عشر كان لبنو ميزاب دور فعال في النشاط الاقتصادي للمدينة وغيرها:

أولا :الفلاحة

كان بنو ميزاب قبل القرن السادس عشر ينتهجون نظام التقشف ويطبقون مبدأ الاكتفاء الذاتي في حياتهم اليومية، إلا أن سرعان ما أدرك الميزابيون بضرورة تغيير نمط حياتهم الاقتصادي من النسق البدوي إلى النسق الحضاري المستقر حيث استطاع الميزابيون إقامة زراعة مستقرة تعتمد على الري الدائم وذلك بحفر الآبار وتسخير إمكانياتهم وتوسيعها،[2] حيث كانت النخلة محور اقتصادهم ومصدر رزقهم فاتخذوا منها سبل جديدة لجلب القوت وعمارة واديهم بالخيرات.

لكن لم يكن ذلك بالأمر الهين نظرا لقلة الماء وقساوة المناخ[3].وقاموا بحفر الآبار نحو ثلاثة ألا لاف بئر يتجاوز عمق الكثير منها ثمانين ذراعا وأحدثوا حول هذه الآبار حدائق النخيل يتجاوز عددها مائتي ألف نخلة.[4] فالمياه تعرف بواسطة الحيوانات مثل البغال ،الجمال وغيرها التي تنقل حسب ألة حركية ذهابا وإيابا وأما أدوات الغرف تتمثل في دلو صنع من الماعز على

[1] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تق: إبراهيم بحاز، ط1،منشورات ألفا، الجزائر ،2010، ص109.

[2] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق ص ص25-40.

[3] قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند الاباضية الجزائر، المرجع السابق، ص40.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص40.

شكل جزة وهناك حبل يجري على عجلة جرارة معلقة بعمود البئر الذي يعلو الأرض بمتر ونصف تقريبا وبهذه الكيفية يتم جلب المياه من الآبار. [1]

تمسك الميزابيون بنشاطهم الزراعي وتقديسهم للعمل البدوي وهذا ما تؤكده قوشون Goichon:" المجتمع الميزابي لا يتم التخلي على العمل اليدوي حتى الذين لا يملكون الثروة أو التعليم وحتى كبار المشايخ يقدسونه ويعظمونه ومن لا يستطيع أن يكسب عيشه يحصل على مساعدة من أهله أو قبيلته" [2]

ومع تطور النشاط الزراعي وغرس أشجار النخيل التي تحولت إلى واحات شرع الميزابيون في زراعة القمح والشعير والفول وغيرها من المزروعات الشتوية والصيفية.[3]إضافة إلى مجهود الميزابي في إحياء الأرض وذلك من خلال بناء السدود وفي العطف يقوم بها سد يحصر المياه طوله500 متر محكم البناء في بني يزقن ذات الأراضي الواسعة سد يمتد إلى 200متر و8 أمتار ارتفاعا فبفضله عادت المياه تجري نحو البساتين وأصبحت الزراعة مركزهم الاقتصادي ووسيلة للعيش والاستمرار.[4]

ثانيا : الصناعة

وإلى جانب الفلاحة لم يهمل الميزابيون الصناعة والمتمثلة أساسا في الحرف التي يتقنها السكان ،فمن الصناعات السائدة بوادي ميزاب صناعة مواد البناء من جير ، الجبس وكانت

[1] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص212.

[2] Goichon.A.M.La vie Féminine au Mzab ,étude de socoogie musulmane, libraire orientabliste paul Geuthner, paris,1927, p239.

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ص180.

[4] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق،ص215.

تصنع لها أفران مبنية من الحجارة وطين أحمر مستديرة الشكل ، وصناعة أخشاب النخيل للتسقيف ووضع الأبواب ومكايل التجارة ومهاريس لطحن الحبوب.[1]

وتميزوا أيضا بصناعة النسيج من الزرابي وثياب الصوف وهي صناعة يقوم بها النساء أثناء أوقات الراحة والتفرغ من الأشغال المنزلية فلا يكاد يخلو بيت من بيوت ميزاب من النسج أو أنثى لاتنسج، والمصنوعات تختلف من حيث الإتقان وهي تتمثل في الحايك، الجلابيب، القشابية والبرنوس من صوف الغنم أو وبر الجمل ،وأيضا الزرابي تتفاوت قيمتها تبعا لدقة صنعها ، ويقتني هذه الصناعات من البدو القادمون من الأسواق مزاب وتجارها يصدرونها في أسواق بلدان التل. [2] إمتهنوا كذلك دباغة الجلود وصناعة الدلاء ،وصناعة الفخار والأواني منها الأكواب التي يستعملها الميزابيون للسقاية والغرف،[3]ويوجد نوع أخر من الجلود البلاغي وأحذية النساء.[4]

ثالثا: التجارة

إن الفلاحة لاتوفر للميزابيين الذي يقتصر نشاطهم عليها عيشاً مقبولا لأنفسهم ولعائلاتهم

[1] عبد القادر عزام عوادي، هجرة سكان بني ميزاب إلى تونس ودورهم السياسي والفكري في الحياة التونسية خلال فترة (1881-1956)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية -أدرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الانسانية،2015 -2016، ص48.

[2] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص222.

[3] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق ص-46.

[4] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص223.

فشكل المياه وإنهاك التربة وقساوة المناخ جعلوا الرجل الميزابي يمتهن حرفة التجارة صوب الشمال وهدا في منتصف القرن الخامس عشر.[1]

ومع دخول العثمانيين مع مطلع القرن السادس عشر إلى الجزائر اعترف بهم الميزابيين وذلك من خلال دعمهم لدحر الحملات الصليبية إضافة إلى دفع حاضرة ميزاب للسلطة العثمانية ضريبة سنوية تقدر بعشرة عبداً واثني عشر أمةً، كما استطاعوا أن يبرموا معهم معاهدة انطلاقا من مدينة الجزائر تسمح لهم بتوسيع تجارتهم في مدن التل.[2]

تميز الميزابيون في تجارتهم بالنزاهة والأمانة والصدق وهذا ماوصفه عنهم القنصل الأمريكي وليام شالر: "الميزابيون قوم هادئون نشيطون في تجارتهم ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال وبلدهم يتمتع باستقلال تام والإمتيازات التي يتمتعون بها في تجارتهم تضمنتها معاهدة مكتوبة وقعتها حكومة الإيالة"[3]

تتم تجارتهم في سوق البلدة، وتتمثل في تبادل أهلها مع قوافل البدو ومنتوجاتهم بحيث يقدمون المنتوجات التي صنعتها أيدي الميزابيون والفائض من محصول التمور مقابل السمن وغيرها من خيرات البادية[4]،ويقدر الإنتاج السنوي للميزابين من الأقمشة الصوفية حوالي سبعين ألف قطعة قيمة كل منها 20 فرنك ويوجد في ميزاب حوالي سبعة ألاف امرأة أو فتاة تعمل في صناعة الأقمشة، وكان الميزابيون يستور ثلاثة ألاف جزة كل عام ،بحيث صنع كل

[1] قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الاصلاحية عند الاباضية الجزائر، المرجع السابق، ص46.

[2] طاعة مصطفى، سعيود إبراهيم ،"حواضر وادي ميزاب عبر التاريخ "، مجلة البحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، مخبر الجنوب الجزائري للبحث والحضارة، عدد خاص، غرداية، 2022، (ص810-831)، ص818.

[3] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تق:إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والمعرفة، الجزائر، 1982، ص111.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص51.

نوع من الأقمشة يتطلب ثلاث أو أربع جزة من الصوف وتبلغ الصوف 2فرنك ولذلك نرى أن عمل المرأة في مزاب ينتج حوالي 700 ألف فرنك.[1]

أما بالنسبة لتجارتهم في الحبوب فيقول بول سولييت أنها كانت تستبدل بمنتوجات صناعية حيث كان الميزابيين يستخدمون وسيط ديني من الذين الموجودين في التل ويقومون بترتيب النقل باستخدام الجمال المستأجرة من القبائل العربية في حين نفس القوافل تجلب لهم البضائع الأوربية المتمثلة في البقالة ، السكر، القهوة ،والشموع ويعملون أيضا بطريقة أخرى، وهم يقدمون سلفا من المال إلى أبناء القبائل البدوية الذين يذهبون للتصيف في التل وينظمون عند عودتهم إلى الجنوب قوافل التي تذهب لشراء الحبوب من الأسواق التي تكون أسعارها أفضل .[2]

وفي القرن الثامن عشر ميلادي كانت القوافل المارة على غرداية تحمل إلى الشمال التمور، الملح، العاج، الذهب، الجلود، الأقمشة وريش الأنعام وإلى الجنوب الحبوب والزيت والسكر والنحاس ومنتوجات مصنوعة بالتل وأوروبا إضافة إلى تجارة العبيد التي تجلبهم قوافل الشعانبة من السودان الغربي فقد انتشرت تجارة الرق بالرغم من جهاد العديد من علماء الميزاب لهذه الظاهرة .[3]

غير أن ممارسة التجارة لم تكن طرقها مفروشة بالورود فاضطراب وقلة الأمن في الطريق دفع الميزابيين إلى عقد تحالف دفاعي تعاوني مع بعض الأعراش من الأرباع وأولاد نايل لحماية

[1] A.Coyne, Op Cit, p24.

[2] Paul Soleillet, Op Cit, pp18,19.

[3] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص54.

قوافلهم من النهب والسلب في الطريق بين صحراء والتل.[1]إضافة إلى عقد جماعة من الميزابيين مع تجار قصر البخاري والبليدة والجزائر ومدية اتفاق قرروا فيه التعاون من الطرفي في جميع المهمات كإعانة كل ضغيف بها يمونه ويبلغه إلى وطنه، ومن جهة أخرى دفع الميزابيين ضريبة جمركية لبايلك التيطري عند خروج قوافلهم من المدية حددت بمحبوب واحد على حمل كل بعير ونصف سلطاني على حمولة كل بغل وبوجود واحد على حمولة كل حمار. [2]

3-الأوضاع الإجتماعية والدينية :

إن المجتمع الميزابي مجتمع متماسك داخليا بحكم رابطته الدينية والعقائدية التي تجمعهم بحكم المذهب الإباضي، إضافة إلى الهيئات الدينية والأسرية التي تتحكم في مسيرة المجتمع الميزابي وتتحكم في مختلف مجالاته،حيث أن هذا التماسك جعل المجتمع الميزابي مختلف عن غيره . وهذه الميزة دفعت Bosquet على القول بأن: " علماء الاجتماع يعتبرون أن مجتمع بني ميزاب من بين المجتمعات البشرية المثيرة للإهتمام".[3]

ينظم مجتمع بني ميزاب ضمن هيكلة على شكل هرم تشكل قاعدته العائلة وقمته هيئة دينية تسمى العزابة وبين القاعدة والقمة مجلس أعيان وعشائر بالإضافة إلى مجلسان المجلس الأول يتكفل بالإشراف على الشؤون الدينية والاجتماعية وهو مجلس عمي السعيد الذي يتشكل بدوره من ممثلي حلقات العزابة لوادي ميزاب ، والمجلس الثاني يدعى مجلس باعبد

[1] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المرجع السابق، ص54.

[2] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص54.

[3] إبراهيم دادي حمو، أثر العوامل الثقافية والاجتماعية على ثقافة المقاولة عند بني ميزاب، إشرا:بن عيشة باديس ،أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علوم التسيير، تخصص اقتصاد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة الجزائر 03،كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 2020-2021، ص163.

الرحمان الكرثي والذي يتشكل من ممثلي أعيان قصور وادي ميزاب حيث يهتم بالجوانب الاجتماعية والتنظيمية للمجتمع الميزابي.[1]

ومن هنا سنحاول عرض هاته الهيئات العرفية والدينية حسب التسلسل الهرمي الاجتماعي:

1- الاسرة أو العائلة :

تعتبر قاعدة الهرم الاجتماعي في وادي ميزاب ،فهي تعتبر اللبنة الأولى في بناء أي المجتمع ،حيث يقوم المجتمع الميزابي على ترابط أفراده وتضحية من أجل الجماعة ، فكل عائلة تحمل نفس اللقب العائلي مجلس يساعد العشيرة الكبرى في مهامها الاجتماعية والتربوية، حيث يجتمع في الحالات الطارئة قصد النظر في أحوال الأسرة وغيرها .[2]

2- العشيرة أو القبيلة :

هو مجلس معين أو متنخب يشرف على إدارة شؤون وممتلكات العشيرة.[3] فالعشيرة تحتل المرتبة الثانية في المجتمع ميزابي فهي وحدة اجتماعية مهمتها إقرار التكافل الاجتماعي بين أفرادها . وعليها أن تقوم بتدبير العمل للعاطل والمعاش للعاجز وحماية من يعتدي عليه من أبنائها، كما أن للعشيرة مجلس يجتمع كلما دعت الضرورة إلى ذلك فالعشيرة عند الميزابيين تمثل جامعة الخلايا التي تشبه من عدة نواحي الخلية في النظم الحزبية . وعلى الرغم من أن

---

[1] عبد القادر فرحات، الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري وادي ميزاب انموذجا (1317-1374هـ/1900-1954م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة غرداية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2022-2023، ص34.

[2] عبد القادر فرحات، المرجع السابق،ص34.

[3] مجموعة باحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج02، ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2008، ص709.

الكثير من الأوضاع العرفية في الميزاب قد اضمحلت إلا أن نظام العشائر لايزال يحتفظ ببقية هيبته .[1]

3- العزابة :

إن أصل كلمة العزابة [2] مشتقة من لفظ العزوف عن الدنيا وملذاتها كما تعني العزل والعزبة والتصوف والتهجد والبعد عن مشاغل الحياة في سبيل التفرغ لخدمة المصلحة العامة ،وبذلك يعتبر أفراد العزابة المثل الأعلى للعامة في ميزاب[3] وعرفها الدرجيني بقوله "فمن ذلك العزابة وأحدهم عزابي وهذه اللفظة إستعملتها لقبا لكل من لازم الطريق ، وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها والعمل بها"،[4]كما عرفها فرحات الجعبري بقوله " هو أن لايجعل لدنيا قيمة كبرى"[5]

حيث تعد حلقة العزابة من أهم وأسمى الهيئات الدينية واجتماعية في وادي ميزاب حيث يطلق على مؤسسيها من قبل العامة"إعزابا" كهيأة واحدة ويطلق على الفرد "أعزاب" تقوم

---

[1] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص200.

[2] مؤسسها أبو عبد الله محمد بن بكر فرسطائي النفوسي أحد أقطاب الإباضية في المغرب العربي وهو من أبرز مصلحين الدينيين والإجتماعيين أصله من فرسطاء بنفوسة.وهو من الشخصيات الثرية بجهودها وأعمالها الإصلاحية ينظر: مليكة بن قومار،"المنجز الفكري والإصلاحي في أثار الشيخ "أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي"، مجلة الأحياء،كلية الآداب واللغات، العدد30،غرداية،2022،ص ص799-808، ص799.

[3] عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2007، ص170,

[4] أبي العباس أحمد الدرجيني، طبقات المشايخ، ج01،تح:إبراهيم طلاي، الزهراء للإعلام العربي، ص104.

[5] صالح بن عمر السماوي، نظام العزابة ودوره في حياة اجتماعية وثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجيستر تاريخ إسلامي ،جامعة الجزائر، 1986، ص09.

بإشراف الكامل على مختلف الشؤون المجتمع الميزابي دينيا،تعليميا واجتماعيا مع السعي على محافظة على تماسكه وبقاءه.[1]

4-مجلس العوام:

هو مجلس قيادي تنفيذي يضم ممثلي عشائر البلدة ، وممثلي المحاضر ووجهاء الناس في ميزاب ،يهتم هذا المجلس بالشؤون العامة للمدينة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، من حملات تطوعية وبناء الأبراج والأسوار،وكذا نظافة البلدة أو المدينة ، ومع مرور الزمن توسعت مهامه ليتضمن مختلف الجمعيات وممثلي المجالس الشعبية المنتخبة ، كما يهتمون بحل النزاعات والخلافات مع السلطة الحاكمة والإدارة المحلية خاصة سلطة الاستعمارية.[2]

5-مجلس عمي سعيد:

يعتبر المجلس الأعلى للعزابة في وادي ميزاب بالجزائر ،سمّي بمجلس عمي سعيد أو "أمّي سعيد" لأنه كان يعقد إجتماعاته في روضة الشيخ عمي السعيد الحربي بمدينة غرداية بمزاب ، يضم ممثلي مجالس العزابة في قرى وادي ميزاب السبع وورجلان،ينعقد في الدورات العادية وقد ينعقد بصفة طارئة .يهتم هذا المجلس بالقضايا الكبرى كالإفتاء ، الاجتهاد فض المشاكل العامة،سن القوانين،مراقبة الأوقاف غير أن مع دخول الاحتلال الفرنسي للمنطقة تقلصت

[1] أحمد حشاني، "نظام العزابة ودوره في تأمين التماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي في منطقة وادي ميزاب" ، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، المدرسة للعلوم السياسية، العدد09، 2020، ص86.

[2] صالح السماوي، نظام العزابة ودوره في الحياة اجتماعية وثقافية بوادي ميزاب، المرجع السابق، ص ص108،109.

مهام هذا المجلس بعد أن كان للسلطة الفعلية سياسيا،اجتماعيا، اقتصاديا .وتقلصت وظائفه ولم يبق إلا المجال الديني.[1]

6-مجلس باعبد الرحمان الكُرثي:

سُمي بهذا الاسم لأنه اتخذ من روضة عبد الرحمان الكرثي في بلدة مليكة وهو مجلس تمثيلي يضم ممثلي هيئات العزابة، حيث يمثل كل قرية ثلاث أعضاء باستثناء غرداية التي كان يمثلها ستة أعضاء ، حيث كان ينظر في هذا المجلس بالمستجدات والعلاقات التي بين الميزابيين والمناطق الشمالية.[2]

7-هيئة تمسردين:

هي هيئة دينية نسوية.[3] تمسردين Timsirdine هو جمع تمسردت Tamaesreadt وهي أسماء مشتقة من كلمة أمازيغية أسّيراد Assirad وتعني الغسل.[4]فتمسردين هي اللفظ الأمازيغي لغسالات الأموات من النساء والأطفال وهي الوظيفة الأولى المسندة إلى هذه الهيئة . ويمكن أن نعرف هذه الهيئة، باعتبارها هيئة نسوية تتولى شؤون المرأة في المجتمع . وهي هيئة

[1] مجموعة باحثين، معجم مصطلحات الإباضية، المرجع السابق، ص ص750،751.

[2] عبد القادر فرحات، الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري وادي ميزاب انموذجا (1317-1374هـ/1900-1954)، المرجع السابق،ص50.

[3] Noha Spiga, Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mozabite contemporaine,mémoire de magister,Université Mouloud,faculte des sciences Humaines et Sociales, Tizi-ouzou,2010,p74.

[4] Ibid, pp74,75.

ملحقة بمجلس العزابة، تختار من خلاله وتتلقى القرارات وترفع إليه التقارير بشأن المجتمع النسوي أو بشأن حالة معينة حتى يتخذ القرار فيها .[1]

عندما نكبت الجزائر بهجمة العدوان الفرنسي ،لم يتأخروا في خوض غمار المقاومة ولم يستطع الجزائريون من دحر القوات الاستعمار وتوقيفها من الوسع .فبعد سيطرة على مدن التل بدأت الحكومة الفرنسية بسياسة الوغل في الصحراء جنوبا لتأمين المناطق التي تحتلها في التل والسيطرة على الطرق تجارة القوافل مع إفريقية السوداء وجاء بهذه السياسة الجنرال راندون من أجل القضاء على المقاومة الوطنية التي قامت في الجنوب وأصبحت تهدد ببقاء الفرنسيين في المناطق الساحلية.

ولتعزيز علاقاتهم مع دول جنوب الصحراء وضمان هيمنتهم مع تجارة القوافل وشبكة الطرق بأكملها اهتم الفرنسيون بالصحراء الجزائرية من 1830 لكن بطئ العمليات العسكرية والغزو في شمال البلاد أدى إلى تأخير العلاقات الرسمية بين الفرنسيين والسكان والتي لم يكن من الممكن أن تبدأ إلا بعد عام 1852 بعد الاستيلاء على الأغواط.

حارب الميزابيون ضد الغزو الفرنسي في سيدي فرج بحيث كانت الكتيبة الميزابية تتألف من ألف رجل وهي من أصلب الكتائب الجزائرية وأشدها شراسة على الغزاة مما لفت أنظار القادة الفرنسيين ، حيث علموا أن هؤلاء المنتمون ليسوا السكان الأصلين بل هم مقيمون من أجل التجارة والكسب ،إضافة إلى علمهم بوضع ميزاب الخاص خلال العهد العثماني واستقلالية تميزوها في تجارتهم على ما كان لهم خلال العهد العثماني من امتيازات صناعية

[1] صوفية حنازلة،"مؤسسات السلطة الدينية :العرفية والمدنية في مزاب بالجزائر "، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد13، الدوحة، 2021، ص118.

وتجارية. وفي الوقت الذي أبرموا فيه الاتفاق عملوا على تدعيم حركات المقاومة خارج العاصمة.

ولعل أهم هدف عملت على تحقيقه إدارة الاحتلال بعد الاستيلاء على الاغواط هو السيطرة على وادي ميزاب أحد أهم مراكز التموين الثوار خاصة شريف ورقلة محمد بن عبد الله.

وفي سنة 1894كتب مانجان Mangin أنه في سنة1852 حصل شريف ورقلة على مساعدات من بني ميزاب حيث زودوه بالمؤن والذخيرة والمشاة وعلى إثر ذلك أصدر الجنرال راندون بطلب من الجنرال يوسف قرار يمنع فيه بيع الحبوب في الأسواق التلية لسكان ميزاب .

ولتحقيق إدارة الاحتلال لأهدافها عملت على تبني إستراتيجية مختلفة لسيطرة على منطقة وادي ميزاب عكس الإستراتيجية التي اتبعتها لإخضاع المناطق الأخرى وهي عقد اتفاقية سلمية تضمن مصالح كلا الطرفين وكان ذلك في29أفريل1853.

الفصل الأول:

اتفاقية الحماية29أفريل1853

المبحث الأول: دوافع وأسباب إبرام الاتفاقية

أولا:الدوافع الميزابية

ثانيا:الدوافع الفرنسية

المبحث الثاني:مجريات عقد الاتفاقية وبنودها.

المبحث الثالث: أهداف الاتفاقية

أولا:الأهداف العلنية

ثانياً: الأهداف الخفية

تمهيـد :

بعد أن نجحت السلطة الاستعمارية في الاستيلاء على المدن الشمالية التلية عملت على سياسة التوغل في الصحراء وكان في مقدمتها الاستيلاء على مدينة الأغواط بقيادة الجنرال بيليسي Pélissier في04ديسمبر 1852 باعتبارها بوابة الصحراء،فاشتد الخطر على المناطق المجاورة وخاصة منطقة وادي ميزاب غير أن فرنسا عملت على تبني إستراتيجية مغايرة للاستيلاء على هذه المنطقة التي تندرج ضمن مراوغة والتواصل السياسي مثل ما حدث مع بني ميزاب ن خلال عقد اتفاقية سلمية تحفظ مصالح كل الطرفين وكان ذلك في 29أفريل 1853

المبحث الأول:دوافع وأسباب إبرام اتفاقية

اختلف المؤرخون حول الطرف الساعي لإبرام الاتفاقية فمنهم من يقول أن الميزابيين هم من اقترحوا عقد الاتفاقية وهذا يعود لعدة دوافع بينما يرى الفريق الثاني أن الإدارة الاستعمارية هي من سعت إلى هذا الاتفاق لذلك قسمنا هذا المبحث إلى عنصرين:

اولا :الدوافع الميزابية .

لعل الدافع الاول الذي جعل الميزابيون يخضعون لفرنسا هو تمكن القوات الفرنسية من احتلال أغلب المدن الجزائرية في الشمال وكذلك في الجنوب و بعد احتلال الفرنسيون الاغواط[1] بوابة الصحراء والتي تعتبر منطقة هامة وأساسية لتوسع في الصحراء ولذلك أدرك الميزابيون[2] خطر الفرنسي على تجارتهم وعلى مصيرهم وأنهم المستحيل التغلب على فرنسا عسكريا[3]،لذلك سارعت مجموعة من أعيان بني ميزاب بإرسال رسالة خطية إلى جنرال بيليسي[4] بالأغواط يوم 12ديسمبر 1852تطالب فيها بالأمان.[5]

[1] اعميراوي احميدة، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، [د.ط]، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، ص103.

[2] M.Randon. Mémoires du Maréchal Randon,Typoraphie lahure, Tome 1, paris, 1875, p76

[3] اعميراوي احميدة، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، المرجع السابق، ص103.

[4] من مواليد 1794توفي في 1864، بمدينة الجزائر شارك في الحملة على الجزائر سنة 1830 كل بعدة مهام متعلقة بإداة مدينة وهران لمدة ثلاث سنوات وفي 10ماي 1851أصح حاكم عاماًعلى الجزائر بالنيابة وفي 15أوت 1852تم التكفل بالحملة على الجنوب وهو لذي دخل الأغواط في 04ديسمبر 1852ينظر كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن التاسع عشر ،شخصيات،أماكن ،أحداث ،معارك، ط01، ألفا، قسنطينة، ص ص68،67.

[5]ابراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحرء الجزائرية1837-1934، دار هومه، الجزائر، 2012، ص12

يقول يحي جلال: "أن الفرنسيون أخذوا يتدخلون في شؤون ميزاب الذين لعبوا دوراً هاما في تاريخ الجزائر الاقتصادي حيث تعتبر منطقة وادي ميزاب مستودعاً كبيراً للتجارة في الجنوب ،ومركزاً هاماً للتجارة بين افريقية السوداء وموانئ البحر الأبيض كانوا ينظمون القوافل شمالاً وجنوباً وفي الفصول الخاصة من سنة ، وكانوا يضعون أنفسهم وتجارتهم تحت حماية قبائل العرب كأولاد نايل تأميناً لهم وكان لهم نظام اقتصادي تعاوني مشترك فطلبوا أهل ميزاب الأمان من الفرنسيين بعد احتلالهم للأغواط فانتهز الفرنسيون الفرصة بفرض نظامهم على المنطقة."[1]

إذن يمكن القول بأن احتلال الاغواط سهل مهمة فرنسا للولوج إلى منطقة وادي ميزاب دون صعوبة لأن أهل ميزاب طلبوا الأمان من فرنسا خوفاً على أنفسهم وتجارتهم.

ويضيف أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد قائلا بأن: "الميزابيون قد تعرضوا إلى التهديد من طرف الفرنسيين وذلك بغلق فرنسا طرق التجارة مع الشمال في وجه الميزابيين وليس هناك حاجة إلى أخذ الرهائن من مواطنهم في الشمال عند الخطر ولكن هذا الاتفاق لم يكن له كما سنرى أي معنى تقريبا مادام الفرنسيون قادرين على تمزيقه عند الحاجة كما حدث سنة 1882 ولكنه كان أسلوبا جديداً في التعامل مع بعض الجزائريين لكسب الوقت وتحييد بني ميزاب في وجه ثورة الشريف محمد بن عبد الله."[2]

[1] يحي جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1960، [د.ط]، دار المعرفة، القاهرة،[د.ت]،ص183.

[2] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية 1830-1962، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1992، بيروت، ص360.

ويقول شارل أمات (charles Amat): "....بعد استيلاءنا على قصر الاغواط كان الميزابيون يدفعون لقبائل الأرباع وسعيد عتبة والمخاليف وجرب حق حماية القوافل التي يشحنونها نحو التل وخوفا من انتقامنا بسبب دعمهم لشريف ورقلة محمد بن عبد الله قرروا الدخول معنا في مفاوضات ظلت مشهورة وزينت فيما بعد باسم معاهدة الاستسلام"[1]

إذن من خلال ما تقدم فالدافع الثاني الذي جعل الميزابيون يرضخون للفرنسيين هو خوفهم من انتقامها منهم بسبب دعمهم للثوار وليس شريف محمد بن عبد الله فحسب.[2]

فبني ميزاب لم يبخلوا على تأييد الثوار منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين بسيد فرج فأثناء معركة اسطاوالي 19جوان 1830دعم أمين الميزابيين الأغا أفندي إبراهيم حوالي أربعة ألا لاف من الجند[3].وأيضا واجهوا الفرنسيين في بوفاريك بليدة، ولايات التيطري ،وهران ، قسنطينة وخوفاً من الثأر أخذ الميزابيون العزم للوصول إلى مفاوضات معها.[4]

[1] Charles Amat,Op Cit ,p19

[2] فتيحة يطو، العلاقات بين الطوئف في وادي ميزاب وأثاراها على الحركة العلمية في المنطقة في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،2018 -2019، ص119.

[3] سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق:أبوالعيد دودو، [د.ط]، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص80.

[4] فتيحة يطو،"معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، العدد01 ،2009/09/01، ص65.

ثانيا: الدوافع الفرنسية

أكد بعض المؤرخون أن إدارة الاحتلال هي من سعت إلى إبرام الاتفاقية ولعل أهم سبب حسب رأيهم دفع الفرنسيين لعقد الاتفاقية هو تأمين المناطق التلية المسيطر عليها، وذلك أن ميزاب كان مطمعاً للثائريين الذين يبحثون عن نقطة ارتكاز ينطلقون منها لمحاربة العدو والذي أخذ يستقر في الشمال ومن أولئك الثوار الطموحين الشريف محمد بن عبد الله.[1]

يقول مانجان (Mangin)في كتابه على الثائر محمد بن عبد الله قائلاً: " لم يزود بني ميزاب شريف ورقلة بالعديد من جنود المشاة بل زودوه أيضا بالطعام والذخيرة وبالتالي منحوه الوسائل للاحتفاظ بالقبائل الجنوبية تحت رايته...."[2]،ومن هنا فإن منطقة وادي ميزاب وسكانها ساهموا في عرقلة التوسع الفرنسي في الصحراء إذ تعتبر أحد أهم مراكز تموين الثوار عموماً وشريف ورقلة خصوصاً لذلك طرح الجنرال راندون Randonفي 24جانفي1853 بضرورة عقد اتفاقية لإخضاع الميزابيين للسلطة الفرنسية،[3]وزيادة على ذلك فإن منطقة وادي ميزاب عبر تاريخها الطويل شهدت حالة من الفوضى بسبب نشوب الصراعات الداخلية بين الشق الغربي والشق الشرقي وتعود جذور الصراع بسبب التنافس على الزعامة وتوالت هذه

[1] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية 1830-1962، ج1، المرجع السابق، ص354.

[2] Mangin, Notes sur L'histoire de Laghouat, place du gouvernement ,Alger,1895p90.

[3] Charles Amat, Op Cit,p20.

الصراعات حتى وصول الفرنسيين إلى المنطقة فاستغل راندون هذا الصراع لضم الميزاب للسلطة الفرنسية.[1]

ويضيف مفدي زكريا أن الإدارة الاستعمارية استغلت الخصومة الناشئة بينهم المزابيين ومواطنهم الجزائريين بدو رحل كانوا أو مقيميين وذلك بسبب الاختلاف المذهبي بين الاباضي والمالكي لذلك عملت فرنسا على إشغال العداوة بينهم وكسب تأييد الميزابيين .[2]

وإلى جانب هذه الدوافع السابقة الذكر فهناك من يقول أنه عندما أخذت فرنسا تتقدم في القطر الجزائري نحو الأراضي الجنوبية واحتلالها للواحات القريبة من الشبكة كان لابد من احتلال وادي ميزاب وربط العلاقات طيبة معهم كونها تشمل شعبنا راقياً في النظم الاجتماعية والسياسية والقضائية والدينية مغايراً تماماً للقبائل الهوجاء المحيطة به وعندما رأت نفسها مجبورة على احتلال البلاد فتحت مع السلطة الميزابية مفاوضات كانت نتيجتها عقد اتفاقية سياسية بين الطرفين وكان ذلك في 29أفري1853.[3]

المبحث الثاني: مجريات عقد الاتفاقية وبنودها

تمهيد :

لمواجهة التحديات لجأ الفرنسيون إلى اعتماد على أسلوب المهادنة والتفاوض،في عدة مناسبات إلى كلما اقتضت الضرورة مثلما كان الشأن مع المجتمع الصحراوي ومنهم بني

[1] E.Masqueray, Formation des cités chez les population sendentaires de L'algérie (Kabyles du Djuurdjura ,chaouï de l'Aourâs, Beni Mzab [...], Thèse présentée a la faculté des lettres , paris, 1886,p212.

[2] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص134.

[3] فتيحة يطو،" معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المرجع السابق، ص66.

ميزاب أين عمدوا إلى نفس السياسة حيث توصلوا وتفاوضوا معهم وانتهوا إلى عقد اتفاقية1853

بعد احتلال الفرنسيون قصر الأغواط عسكريا لجؤا إلى اتخاذ أسلوب أخر في المعاملة لفرض سيطرتهم على منطقة بني ميزاب من خلال نصب حماية تضمن للطرفين واجبات وحقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب[1] ويمكن استخلاص هذه السياسة من خلال تقرير الحكومة العامة بالجزائر موجه إلى وزير الحرب الفرنسي في باريس والمؤرخ ب20جانفي 1853حول الإستراتيجية التي ينصح بإتباعها للسيطرة على منطقة وادي ميزاب وبنود الاتفاق التي يجب عقدها معهم "...إن زج عدد كبير من الجنود في هذه الواحات النائية أمر غير ضروري وهذه المعاهدة مع الميزابيين سوف تضمن الأمن لفرنسا في الجهة الجنوبية كما أنها تسمح بإغلاق أخر ملجئ تبقى لمثيري الاضطرابات فضلاً عن استفادة من تجارتنا من ما يمكن أن يمنحه له هذا البلد"[2]

لذلك بادرت سلطات الاحتلال بتجسيد خطوات الاتفاقية حيث عرض الوالي العام للجزائر دي راندون[3] على جماعات بني ميزاب في رسالته المؤرخة يوم24جانفي1853[4] جاء

[1] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية 1830-1962، ج1، المرجع السابق، ص359.

[2] ناصر بالحاج، "السيطرة الفرنسية على منطقة وادي ميزاب فيما بين 1853-1882 "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد01، المجلد06، قسنطينة،ص ص(349-362)، ص352.

[3] ولد بقرونبل Grenoble في1795/03/25قاد عدة حملات عسكرية ضد القبائل الثائرة في من القبائل والاغواط عين حاكماً عاماً للجزائر سنة 1852 على اثر سقوط الجمهورية الثانية ينظر :فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري في الغرب الجزائري،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران ،2013-2014، ص89.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص130.

فيها بوضوح ما تريده فرنسا من هذه الاتفاقية وهي إخضاع الميزابيين للسلطة الفرنسية وختم رسالته بتهديد شديد اللهجة قائلا "إن فرنسا لديها القوة الرادعة بين يديها لتنفيذ ما تريده ما تراه عادلا ومنصفا وقد اثبت ذلك على أبوابكم بالاغواط فكروا بأن قضية خضوعكم متعلقة بتجارتكم وثروة أبنائكم التي ترسلونها إلى مدننا ،نحن لسنا بصدد استعطافكم لكن هؤلاء هم إخوانكم وراضون بما تفعلون كما أن عدد الأوربيين والعرب الذين يطلبون أخذ مكانهم وصناعتهم، إذا بقيتم صامتين اتجاه هذه الشروط ستتحملون وحدكم الكأس التي ستتبع ذلك"،وأمهلهم مدة شهرين للتفكير واتخاذ القرار[1]

عرض راندون أيضا على بني ميزاب مقابل اتفاق استعداد لتأمين الميزابيين المسافرين عبر أرجاء المناطق المحتلة، وتأمين تجارتهم فيها مقابل خضوعهم [2]ورد قائلاً "إذا التزمتم بهذا فإننا سنعدكم من بين خدامنا ستتبعكم أينما حللتم بين ربوع قبائلنا وخلال إقامتهم في مدننا "[3]

أوقعت هذه الرسالة المجتمع الميزابي في نزاع تضارب بين مؤيد ومعارض[4]، وذلك بين الهيئات المسيرة للمجتمع هيئة العوام وهم العشائر وكبارها والذين حبذوا إلى الإسراع في عقد الاتفاقية اتي تحفظ عوائدهم وتقاليدهم وتسير أمورهم الداخلية بأيديهم مقابل هيئة العزابة

[1] ناصر بالحاج، "السيطرة الفرنسية على منطقة وادي ميزاب فيما بين 1853-1882 "، المرجع السابق، ص356.

[2] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص130.

[3] Coyne, Op Cit, p36

[4] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص131.

أعلى هيئة دينية التي بنت موقفها على أساس وجوب الجهاد ضد الكافر ومحاربته [1]،وفي مقدمة هؤلاء قطب الأئمة اطفيش[2]

حيث قال" أن تشييع ثمانين جنازة في اليوم أحب إلي من أن يطرق سمعي أن فرنسا وضعت قدمها على حجر واحد من تضفت"[3]

وبعد الفصل في الجدل والنقاش السياسي تم الترجيح إعلان الخضوع لفرنسا حيث اجتمع مجلس وادي ميزاب في مسجد عمي السعيد واتفقوا على ارسال وفد الى الاغواط مؤلف من أعيان القرى السبع [4]من بريان بابهون ومن غرداية باعيسى بن بابهون وداود بن باحمد ومن بونورة بكير بن علي ومن مليكة بنوج بن الحاج أحمد، ومن بني يزقن زرقون ومحمد الحاجوعمر بن داود ومن العطف بكير بن سليمان ومن القرارة بكير بن كاسي وعيسى ولد الزيت .[5]

[1] ناصر بالحاج، "السيطرة الفرنسية على منطقة وادي ميزاب فيما بين 1853-1882 "، المرجع السابق، ص355.

[2] هو الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش المشهور بلقب "قطب الأئمة" ولد سنة1238هـ/1821م ببلدية غرداية أم القرى الولاية حاليا ،عاش يتيم الأب وقد عانى في صغره فلم يشتغل بغير التدريس كما كان قليل الأسفار بسبب انشغاله بإصلاح مجتمعه ومضايقة الاستعمار له وفي فترة قصيرة تولى القضاء ثم رجع للتدريس قضى عمره في سبيل الله على ثلاث وجهات إصلاح المجتمع ،خدمة العلم،جهاد المستعمر ينظر: قطب الأئمة اطفيش العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، ص07.

[3] اعميراوي احميدة، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، المرجع السابق، ص105.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص131.

[5] ينظر الملحق رقم01 ص ص105،104.

يقول ترومليي [1]في كتابه الفرنسيون في الصحراء: " كونفدرالية ميزاب ورغم تمتعها بالحكم الذاتي فقد تم وضعها تحت الحماية الفرنسية حيث تم حسم الأمر في 23أفريل 1853 بين الحاكم العام راندون وجامع المدن السبع في الاتحاد"[2]وشملت العديد من البنود من أهمها:

1-حفظ بلادهم .

2-احترام معتقداتهم.

3- صيانة عوائدهم.

4-لا تتدخل في شؤونهم الداخلية .

5- تترك للمدن السبع القسط الذي تتحمله كل سنة وهو45 ألف فرنك سنوياً

6- التزام الميزابيون بإغلاق أبوابهم وأسواقهم في وجه أعداء فرنسا .

7- استمرار التجارة مع تونس والمغرب مع دفع ضريبة مالية على الحدود أما السلطة الفرنسية فإنها تقتصر على حفظ النظام في البلاد ورعاية حقوق الفرنسيين.[3]

---

[1]ضابط فرنسي من مواليد 1839برايمس هارن، انخرط في صفوف كتيبة المشاة سنة 1839جاء الجزائر سنة1851وبقى بها 25سنة ينظر عبد القادر مرجاني ،"مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1851-1871)على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء(Les Français dans Les Désert) "، مجلة الباحث، العدد03، المجلد 12،بوزريعة،ص ص325-348، ص326.

[2] Trumelet, Les Français Dans les Désert journal Historique Millitaire et descriptif d'une expedition Aux limites du sahara, Algérien, éditeur libraire, paris,1885,p399.

[3] Charles Amat, Op Cit,p21.

المبحث الثالث : الأهداف الاتفاقية 29أفريل 1853

لاشك أن السلطة الاستعمارية لما عقدت اتفاقية 29أفريل 1853كان لها خطة تسعى لتحقيقها من أجل سيطرتها وترسيخ وجودها الفعلي في المنطقة المستهدفة وادي ميزاب، وتباينت الأهداف بين ما هو علني وما هو ضمني

أولاً: الأهداف العلنية.

إن فرنسا عند عقدها الاتفاقية 29أفريل 1853مع الميزابيين كانت لها أهداف تمثلت في خدمة إنسانية على حد قولهم، ولخصها في:

1-تعهد الفرنسيون للميزابين بحمايتهم وحماية قوافلهم التجارية وما يوضح ذلك رسالة الجنرال راندون يقول حيث فيها"...حمايتنا ستتبعكم أينما حللتم في أسفاركم بين ربوع قبائلنا وخلال إقامتهم في مدننا" أي حماية التجار القاطنون بالتل[1] ووعدتهم باحترام معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم حيث يقول في ذلك الجنرال راندون "....سيكون هدفنا هو الحفاظ على عاداتكم وتقاليدكم في المستقبل "[2]

ويقول جوزاف لاروز بليس (Joseph Lagroz-Yillis)العضو بمجلس النواب في عريضة قدمها للجنة الجزائر والمستعمرات: "... فلنحترم دائما عوائدهم الدينية والعائلية في

[1] Coyne, Op Cit,p36

[2]Ibrahim Ben youb, De L'indigénat Son Application Aux mozabites, imprimerie Admistrative et commerciale moderne philippeville, 1903, p48.

نصها ومعناها، إذ هذه العوائد هي أساس المجتمع الميزابي كما هي أصل خصالهم الجميلة في الأمانة والقناعة والاقتصاد التي نشأت عليها الأمة الصغيرة. [1]

ثانيا: الأهداف الخفية .

تمثلت الأهداف العلنية لفرنسا في خدمة إنسانية مضمونها الحماية غير أن لهذه الحماية أبعاد أخرى وخلفيات ذات بعد ضمني :

ولعل أهم هدف عملت على تحقيقه سلطة الاحتلال الفرنسي في إطار اتفاقية 29أفريل1853 هو تأمين مناطقها المحتلة في التل والسيطرة على طرف تجارة القوافل مع افريقية[2] السوداء، ويقول بليدي إبراهيم بن يوب "...لا أحد يحمل أن ميزاب يملكون مفتاح التجارة التي هي عنصرها الأساسي ففي جميع الأوقات وفي مناسبات عديدة خدم مصالح فرنسا "[3]، إذن فإن العائد الاقتصادي كان حافزاً لفرنسا لتوقيع الاتفاقية مع الميزابيين والتعهد بالحفاظ على عوائدهم المادية إذ بالحفاظ عليها يزداد نشاطهم الاقتصادي.[4] إن منطقة وادي ميزاب بموقعها الجغرافي تشكل مركزاً استراتيجياً هاماً ولا يمكن لفرنسا أن تسمح لأعدائها

[1] فتيحة يطو،"معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المرجع السابق، ص67.

[2] يحي جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص182.

[3] Ibrahim ben youb, Op Cit, p48.

[4] فتيحة يطو، المرجع السابق، ص67.

بالسيطرة عليه[1] لذلك عملت على إنشاء حاميات لضرب القوى الوطنية الأخرى وذلك لإضعافها ثم الاستيلاء على السلطة نهائياً.[2]

وأما الهدف الثاني من عقد الفرنسيين الاتفاقية مع الميزابيين هو موقعها الجغرافي الذي جعلها نقطة إستراتيجية وملاذاً للثائرين ضد القوات الفرنسية وخاصة الشريف محمد بن عبد الله الذي كان يتلقى الدعم منها،[3]لذلك رأت سلطة الاحتلال أنه يجب السيطرة على ميزاب لتضييق الخناق على الثائرين ويوضح هذه النقطة كوين Coyneقائلا:"...إذا أمكن ضمان حياد ميزاب فإن متمردي الصحراء سيضطرون إلى التحرك بعيداً عن خط مواقعنا الجنوبية لدرجة أن قبائل شمال حدود ميزاب هي الوحيدة التي تم إخضاعها عام 1853"[4]

إن مسألة عقد الاتفاقية لم يكن اتفاقاً تجارياً فحسب أو كما وضحه راندون في رسالته يتعلق بالخضوع التام بتطبيق سياسيته التوسعية في الصحراء وإنما هدفهم السياسة التعليمية والفرنسية والتنصير وتثبيت حقوق اليهود والرعايا الفرنسيين في المنطقة وغيرها من الأهداف المدروسة من طرف الاحتلال الفرنسي،[5] كالتجنيس واحتكار تجارة النسيج .[6]

---

[1] فتيحة يطو، المرجع السابق، ص66.

[2] يحي جلال، المرجع السابق، ص184.

[3] ناصر بالحاج، "السيطرة الفرنسية على منطقة وادي ميزاب فيما بين 1853-1882 "، المرجع السابق، ص354.

[4] Coyne, Op Cit, p37.

[5] فتيحة يطو،"معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المرجع السابق، ص71.

6. عائشة يطو، رسالة الرد على إلحاق واعتراض على مشروع قانون النائب جاك بيو الخاص بتعديل الملكية العقارية بالجزائر للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش،ينظر: كتاب قطب الأئمة اطفيش العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2011 ، ص142.

إن اهتمام فرنسا بتوسعها العسكري نحو الصحراء لم يكن مع تاريخ الاحتلال أو القضاء على المقاومة في المناطق الشمالية وإنما يعود إلى سنة 1824 فمنذ هذا التاريخ إلى غاية 1828م تمكن روني كاي(Ronnie Kay) من الظفر بلقب أول مستكشف فرنسي في عمق الصحراء الجزائرية إذ عبرها من السنغال حتى مدينة تمبكتو بالنيجر[1]،وأيضا رحلة فريديك بكيليو(Frédéric Békelo)في (1818-1820) واشتد حماسهم أكثر بعد احتلال الجزائر، لكن المقاومة القوية التي واجهوها من طرف الشعب الجزائري عاقبتهم على ذلك قرابة أربعين عاماً فكان الهدف الأساسي لهؤلاء المستكشفين بنو الغزو والتوسع الاستعماري والتعرف على المحيط الواسع من الرمل الصفراء بواحاته، والتعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية،واستكشاف المظاهر الجغرافية، التضاريسية، والمناخية، ودراسة المجموعات السكانية وعاداتها وتقاليدها كل هذه الرحلات ساهمت في تسهيل عملية التوسع .[2]

ومن أهم الرحلات التي استفاد منها الفرنسيون في احتلال الصحراء ووادي ميزاب هي رحلة الحاج ابن الدين الاغواطي سنة1125هـ-1829 بطلب من القنصل الأمريكي وليام هودسون(william hudson)وتنص هذه المعلومات الجغرافية الإقليمية حول مناطق غير

[1] اعميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916،[د.ط]، دار الهدى، عين مليلة ،2009، ص64.

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، [د.ط]، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص318،319.

معروفة ومن أهم المناطق التي ذكرها الاغواطي في رحلته إلى جبل عمور،وادي ميزاب،المنيعة،ورقلة ،الثورات وغيرها من المناطق .[1]

وفي الأخير نستنتج ان نتائج هذه الرحلات وظفتها السلطة الاستعمارية توظيفاً سياسيا في مجال التوسع والاحتلال ،من خلال المعلومات المختلفة حول المناطق وفعلاً نتج عن هذه الرحلات توسع عسكري وإبرام لاتفاقيات منها مع سكان وادي ميزاب وتقرت وغدامس.

لمواجهة التحديات لجأ الفرنسيون إلى أسلوب المهادنة في التفاوض كلما كانوا بحاجة إلى ذلك، كما هو الشأن في تعاملهم مع بني ميزاب وذلك 29أفريل 1853م،فاختلف المؤرخون حول الطرف الساعي لإبرام الاتفاقية فمنهم من يقول أن بني ميزاب هم من سعوا لإبرامها وذلك لعدة أسباب.

-إدراك الميزابيين الخطر الفرنسي خاصة بعد السيطرة على مدينة الاغواط من طرف الجنرال بيليسي في 04ديسمبر1852.

-التهديد الاقتصادي الذي تعرضوا له من طرف السلطات الفرنسية وذلك بغلق طرق التجارة مع الشمال في وجه الميزابيين.

-خوف الميزابيين من ثأر الفرنسيين منهم بعد مساندتهم للثوار خاصة محمد بن عبد الله، بينما الفريق الثاني يرى أن فرنسا هي من سعت لإبرامها وذلك لعدة أسباب فالسبب الأول

[1] ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج02،[د.ط]، دار الرائد،الجزائر،2009 ، ص ص251-255.

الذي جعل راندون للجوء إلى اتفاقية هو أن منطقة ميزاب كانت مطمعاً للثائرين الذين يبحثون عن نقطة ارتكاز لمحاربة العدو.

أما السبب الثاني استغلال الوالي العام راندون الخصومة الناشئة بين الشق الغربي والشق الشرقي في غرداية على الزعامة، لذلك عرض راندون رسالته في 24ديسمبر1853م جاء فيه بوضوح ما تريده فرنسا وهي إخضاع ميزاب للسلطة الفرنسية وختم رسالته بتهديد شديد.

هذه الرسالة أوقعت المجتمع الميزابي في نزاع بين مؤيد ومعارض لإبرام الاتفاقية وذلك بين الهيئات المسيرة للمجتمع هيئة العوام وهم ضمان العشائر والذين حبذوا للإسراع إلى عقد الاتفاقية التي تحفظ عوائدهم وتسيير أمورهم الداخلية بأنفسهم مقابل هيئة العزابة التي تبنت موقفها على أساس الجهاد ضد الكافر ومحاربته وعلى رأسهم قطب الأئمة الشيخ اطفيش.

وفي الأخير تم ترجيح إعلان الخضوع لفرنسا حيث اجتمع مجلس وادي ميزاب في مسجد عمي السعيد اتفقوا على إرسال وفد مؤلف من أعيان المدن السبع.

وفي 29أفريل 1853 تم إبرام الاتفاقية بين أعيان المدن السبع والقائد دوبراي نيابة عن الحاكم العام راندون، حيث تعهدت فرنسا بحفظ بلادهم واحترام معتقداتهم وصيانة عوائدهم وأن لا تتدخل في أمورهم الداخلية وتترك المدن السبع القسط الذي تتحمله كل سنة هو 45ألف فرنك سنويا، أما السلطة الفرنسية فإنها تقتصر على حفظ النظام في البلاد ورعاية حقوق الفرنسيين. وبهذا تكون فرنسا قد حققت أهم هدفين سعت من أجلهما الأول تأمين المناطق التلية المسيطرة عليها والثاني السيطرة على منطقة وادي ميزاب أحد أهم مراكز تموين الثوار.

الفصل الثاني:

العلاقة بين الإدارة الفرنسية الاستعمارية وأعيان وادي ميزاب.

المبحث الاول: سياسياً وعسكرياً

المبحث الثاني: اقتصادياً

المبحث الثالث :ثقافياً دينياً

تمهيد:

تشكلت العلاقة بين السلطة الفرنسية ووادي ميزاب خلال فترة الاحتلال للجزائر ولاسيما بعد عقد اتفاقية الحماية29أفريل 1853م والتي اعترفت فرنسا بموجبها بحكم الشيوخ المحليين مقابل دفع الجزية، غير أن هذه العلاقة تميزت بمراحل متباينة بداية من عقد اتفاقية، تلتها مرحلة السيطرة الفرنسية على وادي ميزاب بالقوة وفرض نظامها عليهم.

الفصل الثاني: العلاقة بين الإدارة الفرنسية الاستعمارية وأعيان ميزاب من خلال اتفاقية 1853.

المبحث الأول:سياسياً وعسكرياً

استمرت العلاقة بين السلطة الفرنسية والميزابيين بناءاً على اتفاقية 29أفريل 1853والتي نصت على استقلالية الميزابيين وعدم تدخل الفرنسيين في شؤونهم الداخلية.[1]وتمثلت العلاقة في تبادل الرسائل بينهم ونذكر منها رسائل الحكام الفرنسيين بالاغواط مع عدون بن باع سعيد [2]شيخ الميزابين عام 1853 حيث هناك وثيقة تدل على أن باع سعيد قدم أفضل الخدمات للسلطات الفرنسية وكأنه واحد منهم[3]،ففي 01 فيفري 1855صدرت رسالة من قبل الجنرال دوبراي(Général du Barail) قائلاً"أشهد أن السيد عدون بن باع سعيد المزابي من بني يزقن قدم لي أفضل الخدمات طوال فترة قيادتي في الاغواط، وكان أحد الوكلاء الرئيسين الذين استخدمتهم للحصول على معلومات عن الميزاب ولذلك فإني أقدم له بكل شغف هذه الشهادة التي تعبر عن ارتياحي العميق والسلوك الذي حافظ عليه دائماً في المناسبات من أجل خدمتنا."[4]ومن أهم الرسائل نذكر:

[1] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا،ج01، المرجع السابق، ص276.

[2] Ibrahim Ben youb, Op Cit,p05.

[3] Sifo Fatiha, Un aspect de la résistance mozabite contre la domination française (1830-1914), Dialogue Méditerranéen, Vol.9 (n°1) , Algérie, 2018, pp(24-40) ,p27.

[4] Ibrahim ben youb,Op Cit, p06.

1-رسالة من السيد النقيب دوراند(Durand)رئيس المكتب العربي للاغواط المؤرخة بتاريخ 30جانفي1866كما يلي:%من عدون بن باع سعيد تحياتي وصلتني رسالتك وفهمت محتواها"أعلمكم أن سي قدور بن حمزة يخيم بالقرب من لبيض سيدي الشيخ وأن رعاته أخذوا بعض الأغنام من سكان بيريزينة ولا أعرف إذا كانت القوات التي معه كبيرة أم لا"ورد عليه النقيب "اليوم غادر رتل الاغواط غرباً لمهاجمته وفي نفس اليوم سيغادر رتل الجلفة متجهاً إلى الاغواط لمحاصرته"[1]

2/رسالة السيد القائد كروس (Commandant Cros)رئيس المكتب العربي بالاغواط بتاريخ 18أفريل1870ونصها كما يلي : "عدون بن باع تحياتي وصلتني رسالتك وفهمت مضمونها أعلن لكم أني تلقيت أخبار من الجزائر العاصمة بخصوص سي قدور بن حمزة الذي طلب الأمان من الحكومة الفرنسية وتقديم طلب العفو من فرنسا وخضوع لها"[2]

3/رسالة من القائد محمد بن فرج وقويدر بن توغار مؤرخة في 2جويلية1873،جاء نصها: "إلى عدون بن باع سعيد وإلى أعضاء جماد بن إيزقن نعلن لكم أن أولاد سيدي حمزة يعسكرون في مراكزهم وبخصوص سي قدور بن حمزة فقد علمنا أنه يريد بناء قصر له بالقرارة أما بوشوشة فقد نزل مع عائلته إلى عائلة علي بن لشهب ومعه جيش ويريد الانتفاضة هذه هيا المعلومات التي تمكنا من جمعها ونحن نلفت انتباهكم إليها"[3]

[1] Ibid, p19.

[2] Ibid, p31.

[3] Ibid, Op Cit, p32.

3/رسالة إلى العقيد جيريس (Colonel Gérés)رئيس المكتب العربي بالاغواط المؤرخة في 21أكتوبر1870:"أبلغكم أني اليوم تلقيت برقية من البيض يعلن فيها أن أولاد سيدي الشيخ بصدد جمع الشعوب الغرب للاستعداد لانتفاضة كبرى وأنا أعلمكم من أجل أخذ الحيطة والحذر"[1]

4/رسالة من القائد ادموند(Commandant Edmond)رئيس المكتب العربي للاغواط الصادرة في 14ديسمبر1874:"عدون بن باع سعيد تحياتي المتعلقة بالهجوم على الجانبين الشرقي والغربي وأشكركم عليها بمجرد أن يكون لديك شيء جديد لا تنسى إخباري بكل ما يحدث في وادي ميزاب تعلموا أننا التقينا مرة واحدة في الاغواط إذا كان عليك أن تأتي إلي سأكون سعيداً جداً باستقبالك" [2]

وعليه ومن خلال هذه الرسائل يتضح لنا العلاقة ثنائية بين السلطة الاستعمارية الفرنسية والأعوان بني ميزاب القائمة على التعاون في المجال السياسي على حساب نشاط الثورة بالصحراء التي قادها آنذاك كما جاء في هذه الرسائل كأولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي (1864-1883) أو الشريف بوشوشة بالجنوب الشرقي(1869-1874).

[1] Ibid, Op Cit, p30.

[2] Ibid, Op Cit, p39

وحسب مايقوله إبراهيم بن يوب أنها مراسلات أصلية تحمل توقيع رؤساء المكاتب العربية وأختامهم ،وقد ترجمها في مقتطفات عام1883السيد هنري بورجوا الذي كان مترجما في قسنطينة. [1]

بقيت العلاقة بين السلطة الفرنسية مبنية على، الشروط اتفاقية 29أفريل 1853م إلى أن بادرت فرنسا بنقض الشروط اتفاقية حيث قام القائد مرغريت في1857 مع العديد من الجيوش متوجهاً من الاغواط إلى ورجلان، وفي طريقه مر على غرداية فعزم على اختراق جانب من المدينة ودخله بالقوة فرفض الميزابيون هذا التصرف وأغلقوا أبوابها إلا أنه حطم بالفؤوس فدخلها وسار بالجنود وهم يقرعون الطبول ويبثون الخراب على طول الشارع الرئيسي مما أثار خيبة جميع السكان.[2]

وفي الفترة نفسها أظهرت فرنسا تدخلها في شؤون ميزاب الداخلية،وذلك بتنصيب اليهودي يتح أغا على ميزاب والذي كان عاملاً في المخابرات الفرنسية بالأغواط وغضب الميزابيون من ذلك واعتبروا ذلك إهانة لهم وتدخلا في أمورهم الداخلية ومناقضاً لشروط الاتفاقية [3]، إلا أن فرنسا عزمت على تحدي الشعور القومي واستفزازه في ميزاب حيث يقول حمو عيسى النوري "...فأصبح تحت رعاية قوة الاحتلال معجبا ومعتزا بنفسه بما قلده من منصب على الميزابيين فاتخذ في نفسه فرسا فارها لتنقلاته بين مدن ميزاب مختالا فخوراً "،

---

[1] Ibid, Op Cit,40.

[2] Charles Amat,Op Cit. PP21,22.

[3] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص131.

ساء هذا التصرف جميع الوسط الميزابي فهبت جماعة من الأعيان والمفكرين فعقدوا اجتماعاً في مسجد غرداية لتداول أمره ،إذا بشخص المدعو إبراهيم كولا يقول كل هذا الاجتماع لأجل يهودي،[1]وقام بقتله يوم 21جويلية 1860في برج كاركار بين بني يزقن ومليكة، فغضبت السلطات الفرنسية من هذا التصرف وأمرت بإلقاء الدية على كافة المدن السبع، بحيث تدفع كل مدينة حسب عدد سكانها ومقدارها عشرة ألاف فرنك إضافة إلى غرامة قدرها ثلاثون ألف فرنك لعدم التصريح بالقاتل،[2]وأرسلت جماعة ميزابية إلى حاكم الاغواط يطالبون منه تخفيض الدية إلا أن السلطة الفرنسية لم تكتف بجمع الغرامة بل أرسلت مائة فارس من عرش الأرباع وهجموا على غرداية وكان ذلك انتقاماً ليتح اليهودي.[3]

ولا بدى من الذكر أن التصرف الفرنسي المقصود الغاية منه هو استفزاز الميزابين ويندرج ضمن سياسة تعيين قادة أجانب في المنطقة كما فعلت بالعديد من المناطق ما هو الحال في منطقة القبائل عندما اقتطعت مناطق نائية للمقراني وعينت عليها قادة أجانب ونفس الأمر مع وأولاد سيدي الشيخ عندما عمدت على تعيين أغا ورقلة دون إعلام الباشا غا سي سليمان مما يعني التدخل في صلاحيات مجال النفوذ. ورغم الغرامات المالية والهجوم على غرداية من أجل الثائر اليهودي إلا أن السلطة الفرنسية

[1] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج01، المرجع السابق، ص277.

[2] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص134.

[3] مرجع نفسه، ص145.

مازالت ترغب في التحدي ولبثوا يترقبون الفرصة للانتقام وأتيحت لهم عندما قرر الإمبراطور نابليون الثالث[1] زيارة الجزائر العاصمة عام 1860.[2]

راسلت الولاية العامة الميزابيون وألحت عليهم إرسال وفود من مدنها حسب عددها لتمثلها في استقبال الإمبراطور ويقول مفدي زكريا أن الميزابيين أدركوا المغزى السياسي من هذه السياسة الرغبة :

أولا: إرغامهم على تطبيق وثيقة اتفاقية تطبيقا علميا حتى في أبسط الشكليات.

ثانيا: عدم اعتراف الفرنسيين لهم بكيانهم واستقلالهم الذي يجعل لهم استقلالية مميزة [3] فرفضت جماعات بني يزقن ومليكة وبونورة والعطف وبريان إرسال ممثلين لحضور احتفالات الاستقبال[4]، وقد انجرى هذا الغياب عتاب للجماعة الميزابية من قبل الجنرال يوسف بالاغواط فأنزل عليهم غرامات فادحة[5]وهي كالأتي:

-غرداية عشرة ألاف فرنك لأنها كلفت بالبحث عن قاتل اليهودي .

-بني يزقن ثلاثين ألف فرنك لأنها تولت الدعوة إلى مقاطعة حفلات الإمبراطور.

-مليكة ستة ألاف فرنك غرامة.

---

[1] ولد سنة 1808 وتوفي في 1873رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية(1848-1852) امبراطور فرنسا(1852-1870)انتخب رئيسا لفرنسا عام 1848 وهزم في الحرب الفرنسية البروسية فخلع عن العرش عام 1870 ينظر :منير البعليكي، موسوعة معجم أعلام المورد، ط01،دار العلم، بيروت، 1992، ص450.

[2] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص144.

[3] مفدي زكريا، المصدر السابق، ص135.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص145.

[5] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج01، المرجع السابق، ص275.

-بنورة ثلاثة ألاف فرنك غرامة.

-بريان خمسة ألاف فرنك غرامة.

-العطف ستة ألاف فرنك غرامة.[1]

ويبدو أن القرارة لم تغرم ويقول في هذا الصدد مفدي زكريا:"...لعل حركات الخيانة التي كان يقوم بها وتركت أثاراً شنعاء وفتنا دامية، ولعل بعض هؤلاء الخونة كانوا قد استجابوا لدعوة الولاية العامة فحضروا حفلات استقبال الامبراطور"[2] وهكذا ظلت منطقة وادي ميزاب مسرحاً للأحداث والفتن والاغتيالات بفعل وتذكير من السلطات الفرنسية بالتدخل شؤونهم الداخلية.

ففي عام 1858أقبل أبوبكر بن قاسي رئيس القرارة وتم تعيين ابن عمه قاسي بن زويل مكانه وذلك من اجل الخدمات المقدمة للحكومة الفرنسية [3]بحيث كلفه القائد مارغريت(Marrguerite) ليقوم باتصالات مع التوراق قصد تكوين علاقات تجارية معهم ومع فرنسا فقام برحلة استكشافية رفقة إسماعيل بوضربة إلى غدامس وغات، وأمدوا السلطات الفرنسية المحلية بالاغواط معلومات ثمينة حول هذه المناطق،واعترافاً بمجهوداته عين خلفاً لبوبكر بن كاسي.[4]

[1] مفدي زكريا، المصدر السابق، ص146.

[2] مفدي زكريا، المرجع السابق، ص146.

[3] Amat. Op Cit, p22.

[4] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص140.

وفي سبتمبر1864 وقعت فتنة بين بني يزقن ومليكة وبنورة والمخاريج من أولاد عمي عيسى والمذابيح [1]وافترقوا،ولما وصل الخبر إلى متليلي قدم الشعانبة بالطبول والمزامير وقدم أهل العطف ومليكة وبنورة والمخاريج إلى غرداية وحوصرت أربعة أيام،وكان الصراع بين المذابيح وأهل البلد فهدموا السور واقتحموا المدينة وهرب أولاد بني سليمان ونهبوا ديارهم وبقيت البلاد في يد ولاد عمي عيسى.[2]

وفي 10أكتوبر 1881 قتل الحاج إبراهيم أجريبة في ساحة السوق مدينة بريان عن عمر يناهز ثمانون سنة وفرضت السلطات الفرنسية على البلدة ضريبة قدرها ثلاثون ألف فرنك لأن الحادث كان ضربة موجعة لقيادة الاحتلال نظراً للدور الذي لعبه من أجل خدمة المستعمر.[3]وفي عام 31مارس 1881 اغتيل شيخ مسجد غرداية صالح بن كاسي ويقول شارل أمات أنه اختطف ثم اتضح بأنه قتل. [4]

وفي 26أفريل 1882عادت الخلافات من جديد بين أولاد بن سليمان وأولاد عمي عيسى صاحبة أعمال الشغب والسلب ، ذهب ضحيته تسعة موتى وعشرة جرحى،وتعهد كل من أولاد عمي عيسى، المذابيح،وأولاد يونس بدفع خمسة عشرة ألف فرنك دية تعويضاً لضحايا النهب.[5]

---

[1] المذابيح من أعراب منطقة ميزاب، سكنوا الضاية بن ضخوة إحدى قرى غرداية وكانوا رعاة غنم ثم تحولوا تدريجياً إلى مزارعين عامرين في الزراعة ينظر :مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب، المصدر السابق، ص151.

[2] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع نفسه، ص142.

[3] مفدي زكريا، المصدر السابق، ص153.

[4] Charles Amat, Op Cit, p24.

[5] يوسف بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع نفسه، ص143.

وفي 26أكتوبر 1882تلقى الجنرال دولاتور[1] (De latour)برقية من الوالي العام لويس تيرمان[2](Louis Tirman)يأمر بتجهيز حملة بغزو ميزاب وإعلان إلحاقه[3] اشتملت الحملة 1175ضابط وجندي وخمس مائة فارس و1851بعير تحمل مؤونة شهر كامل،غادرت الأغواط يوم10نوفمبر ووصلت إلى غرداية 17نوفمبر.[4]

إن وصول الكتيبة إلى ميزاب كان مفاجئاً للميزابيين وعلى حسب قول مارت ميار (Mart Mayar)أنهم لوكانوا على علم بتجهيزها لاستعدوا للمقاومة، فباشروا باعتقال الوطنيين وكان أول من اعتقل السيد باحماني بن الزكطي من أسرة آل الزكطي، كما اعتقل قطب الأئمة الشيخ اطفيش في 26نوفمبر1882م ونقل الكثير من الوطنيين إلى السجن بكورسيكا.[5]

يقول أوغستين برنارد(Augustin Bernad) "باستيلائنا على ميزاب قضينا على عش الثورة الدائم والمستودع الذي كان يعد فيه الثوار الأسلحة والعتاد ضدنا ".[6]

ويؤكد هذا القول القائد مارغريت في رسالته إلى القائد الأعلى بالجزائر يقول فيها"قررت

---

[1] هو جنرال الأمير إدوارد دي لاتور دو فيرني لورندي قائد منطقة المدية ينظر: مفدي زكريا،أضواء على وادي ميزاب، المصدر السابق، ص154.

[2]الحاكم العام للجزائر من 1881/11/26إلى1891/04/18ينظر:يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، المرجع السابق، ص152.

[3] مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب، المصدر السابق، ص154.

[4] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، المرجع السابق، ص150.

[5] مفدي زكريا، المصدر السابق، صص156،155.

[6] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، المرجع السابق، ص151.

الزحف على غرداية لأن جميع المقاومة تحرضنا لمهاجمتها في الصحراء تستمد صلاحها من ميزاب"[1]

ويقول يحي بوعزيز في هذا الصدد يحي بوعزيز: "... بعد أحداث بوعمامة ألحقت السلطات الفرنسية منطقة ميزاب بسلطتها المباشرة وألغت الحكم شبه الذاتي الذي كان يتمتع به الميزابيون بمقتضى اتفاقية راندون 1853وذلك عقاباً على التأييد الذي أبدوه لبوعمامة ورفاقه والعون المادي الذي قدموه لهم"[2]

إذن من خلال التصريحات وخاصة الفرنسية تبين لنا بوضوح الأسباب الرئيسية التي دفعت سلطة الاحتلال إلى إعلان قرار الإلحاق والسيطرة المباشرة على المنطقة فلم يبخل بنو ميزاب عن مساعدة الثوار فقد كانوا يمسكون الفرنسيين باليد اليمنى ويمدون الثوار باليد اليسرى،فكان لبني ميزاب مشاركة قوية في ثورة المقراني والشيخ الحداد، وكان لهم في الميدان جولات وشهداء وسقط في ميدان الشرف أحمد بن صالح بولنعاش من غرداية أمام دار المقراني أسندت إليه قيادة المقاومة في المركز الرئيسي للثورة ،وأخذ ولده يوسف بولنعاش وواصل الكفاح إلى نهاية الثورة.[3]

أما عن ثورة أولاد سيدي الشيخ بزعامة سليمان وعمه سي الأعلى بوبكر فقد كانت لهم قاداة في وادي ميزاب وزودوهم بالمؤن والذخيرة وانضم مشاتهم إلى فرسان بن

[1] عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، المرجع السابق ص188.

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص256.

[3] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج01، المرجع السابق، ص306.

ناصر بن شهرة مما أدى بالسلطة الفرنسية في حجز جميع قوافل بني ميزاب وحرمانهم من الحبوب [1]

وزيادة على تموين الثوار فإن منطقة وادي ميزاب تصنع فيها البارود حيث يقول ابن الدين الأغواطي في رحلته عن صناعة البارود"... وذلك بجمع التراب من الأرض في القرى المهدمة وهذا التراب هو في الأصل مادة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليه بنفس الطريقة التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون،ثم يغلى الماء إلى أن يصبح خاثراً ويخلط مع الكبريت وأربعة أرطال من الفحم من شجرة الدفلى، وتخلط مع بعض وفي غصون أربع ساعات تصبح باروداً"[2]وفي الصحراء منجم كبير عظيم من الرصاص ولايقع هذا المنجم تحت سلطة أي قبيلة يسمى جبل الرصاص يقع شرق أولاد نايل.[3]

وتبعاً لهذه الأسباب أدركت السلطة الاستعمارية مدى خطورة منطقة الميزاب وضرورة إخضاعها مباشرة عسكرياً بدلاً من الاتفاق يضمن التعاون دون التبعية المباشرة وجاء قرار الإلحاق 30نوفمبر 1882.

ونصت رسالة الإلحاق أن الميزابيون لم يلتزموا بشروط الاتفاقية واستمروا في تمويل الثوار إضافة إلى ترك أسواقهم مفتوحة أمام الثائرين على القوات الفرنسية، لذلك فرضت

[1] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص152.

[2] الحاج ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات ،تح:أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص90.

[3] نفسه، ص91.

عليهم حامية عسكرية تراقبهم عن قرب ولكن مع إبقاء الحماية الفرنسية على ميزاب وترك أهلها أحرر في تسيير شؤونهم داخلياً وذلك بالرجوع في تعاليم الإسلام،[1]ويؤكد أمات ذلك من خلال نص الرسالة: "... لقد أصبحت المدن الميزابية ملاذاً آمناً لجميع المتمردين بالجنوب وزودوهم بذخائر حربية..."ويقول أيضا "... لن نفرض عليهم لا أغا ولاقائد ولاقاضي من أبناء العرب،بل نترككم على حسب ما توجبه قوائدكم،مرتبطين بجماعتكم وشيوخكم الإباضين لتحقيق العدالة وستضمن احترام قرارات مشايخكم عندما يتصرفون بالإنصاف والعدل..."[2]

وبعد قرار الإلحاق عام1882م قامت فرنسا بعدة تغيرات ففي 1853كان الخراج المفروض على بني ميزاب قدره4500ألف فرنك،وفي سنة 1883ارتفع إلى 131.512.98 وقسم هذا العدد على القرى السبع.[3]وتم أيضا التفاوض على تعيين قواد المدن السبع في30نوفمبر1882،وهي موضحة كالأتي:

قواد غرداية:

باحمد بالولو من 1882إلى 1888م عزل اثر خلاف بينه وبين رئيس المكتب العربي.

حمو بن الحاج عمر الناصر 1888إلى 1895.

---

[1] ناصر بالحاج" السيطرة الفرنسية على منطقة وادي ميزاب فيما بين 1853-1882 "، المرجع السابق، ص358.

[2] Amat, Op Cit, pp26,27.

[3] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص153.

إبراهيم بن عيسى بحاز،عين يوم05نوفمبر 1895م إلى 1909م.

إبراهيم بن يحي مصباح عين يوم 20جويلية1909م.

إلى غاية 1921 ثم خلفه صالح بن يحي البوال في مارس 1921م.

قواد بني يزقن :

-عيسى بن سليمان فضلي عين يوم 30نوفمبر 1888م ونصب يوم 14جانفي 1889.

-سليمان بن عيسى الفضلي خلف أباه بإجماع سكان البلدة يوم 21ماي 1913وسمي قائد القواد يوم 22ماي 1930.

وكاسي بن باهون عين قائداً على القرارة ويحي بن عفاري قائداً على بريان وإبراهيم بن عيسى قائداً على بنورة ويوسف بن حاجو قائداً على العطف، وصالح عبد الرحمن قائداً على مليكة.[1]

وظل بنو ميزاب يعتبرون أن الحاق بلادهم بفرنسا غير شرعي ويتعارض مع القانون الفرنسي نفسه والدليل على ذلك الفصل الثامن من القانون الدولي الفرنسي المؤرخ في 16جويلية 1875م والذي يتضمن:"لا يمكن إحالة أرض أو مبادلتها أو إلحاقها إلا بمقتضي قانون وافق عليه مجلس الأمة الفرنسية"[2]،وفي 1888م طالب الإمام اطفيش الحاكم العام لويس تيرمان (Louis Tirman) بتخفيض الغرامة على أهل المنطقة كما

[1] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، المرجع السابق، ص ص158-160.

[2] نفسه، ص178.

طلب منهم ترك الأوقاف بيد المساجد وأرسل نسخة إلى القضاة الفرنسيين من أجل تطبيق تعاليم الشرع[1] وهذا بالإضافة إلى موقفه من مسألة التجنيد الإجباري.[2]

المبحث الثاني:اقتصادياً.

تمهيد:

لقد سيطرت فرنسا على الاقتصاد الميزابي وحولت مداخيله لخدمة مصالحها في مختلف الميادين الاقتصادية ، ما أدى ذلك إلى تدهور الاقتصاد المحلي للمنطقة.

أولا:الفلاحة والري

لقد تطورت الفلاحة في بني ميزاب فصارت فيه أبار ارتوازية وإنشاء شركات لحفرها،وقد أراد الاستعمار أن يكون في كل مدينة اليوم بئر أو بئران ارتوازيين فلقد كان الميزابيون يعتمدون على أنفسهم في تعمير مدنهم، لا يتكلون على السلطة الاستعمارية حيث كانوا حريصين على تعمير مدنهم وتجهيزهم كما يقتضي،كرصف الشوارع حفر ابار،تجديد المساجد،لكن الاستعمار الفرنسي لم يعتني يهتم بالمدن الميزابية ،فهو بوده أن تبقى هذه المناطق بدوية خالية، يسودها الجوع والجهل والفوضى ليتحكم فيها كما يريد ويصبغها كما يشاء ،وقد بنى الميزابيون سدوداً كثيرة في كل واد من أوديتهم[3].

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، صص268،269.

[2] عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، المرجع نفسه، ص190.

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج1، المرجع السابق، ص184.

وبعد قرار الإلحاق تم إقامة أربعة سدود جديدة: سد في غرداية عام1883، سد في مليكة بين 1888و1889، سد في بونورة بين1887و1889،سد الجديد في غرداية عام 1897على بعد كيلومترين شمال البلدة ،سمك قاعدته ثمانيةأمتار،أما أهل القرارة فقد أقامو عام 1909سدّاً بين وادي زقرير وضاية تلمَّز أمَانْ، الموجودة في تراب ملحقة الاغواط والتي كانت تبتلع مياه الوادي ،ولما زارا الوالي العام تيرمان مزاب في شهر فيفري 1884،طلب منه بنو مزاب حفر آبار ارتوازية(نسبة إلى منطقة فرنسية اسمها أَرْتْوَا).[1] فكان أول إحصاء بعد قرار الإلحاق على النحو التالي :

إحصاء النخيل والآبار الحية والناضبة بعد الالحاق1882.[2]

البلدة	النخيل	الآبار الحية
غرداية	64074	1240
مليكة	2865	173
بني يزقن	25875	417
بونورة	9954	248
العطف	16483	343
بريان	27855	274
القرارة	28000	280
مزاب	175106	2975

[1] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص ص180،179.

[2] Robin, Op Cit, p19.

إن جميع هذه الآبار شرع في حفرها المقاول بولان بوسائل حديثة من 08جانفي1897إلى غاية 1899/04،حيث بلغ عمقها 307 لكن دون جدوى،حيث نلاحظ ارتفاع عدد النخيل في منطقة غرداية مقارنة بالمناطق الأخرى وهذا راجع لارتفاع عدد الآبار بالمنطقة

ثانيا:تعبيد الطرقات

انطلقت أشغال تعبيد الطرقات يوم 01ديسمبر 1882 من سطافة إلى غرداية (اثنان وثمانون كيلو متر) وتم استعماله يوم 20مارس1883وكان من قبل منطلق الطريق المؤدي من غرداية إلى بريان والاغواط يتبع وادي ميزاب ،وفي 23أفريل1883انطلقت أشغال إنجاز طريق من غرداية إلى ورقلة وانتهت في شهر نوفمبر من نفس السنة.ففي 24ديسمبر 1902 صدر قانون إنشاء أراضي الجنوب ،فكانت أراضي غرداية تشتمل على مزاب والهضاب العليا للاغواط والجلفة،وقد قسمت إداريا إلى ملحقة غرداية وملحقة الاغواط وملحقة الجلفة ومركز منيعة وكان على رأس هذه الاراضي كومندان عسكري مقره بالاغواط.[1]

المبحث الثالث:ثقافيا ودينيا

تمهيد:

أصدرت السلطات الاستعمارية سنة1892م أمرا يقضي بإنشاء مدارس رسمية فيكل قرى مزاب وإخضاع التعليم العربي إلى رخصة ،إلاَّ التعليم الذي كان في كنف

[1] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، المرجع السابق، ص155.

المساجد وكانوا يتحاشون هذه المراكز لأنها حساسة إضافة إلى مصادرة الأوقاف وفق نظامه القضائي.

أولا: التعليم

أ– التعليم الإسلامي الحر:

كان ميزابيون في غالب الأحيان يبنون مدارس قرب مساجد وهي تحضيرية لذلك سميت في اللهجة المحلية بالمحاضر، حيث كان جل تلاميذها، يدرسون مبادئ النحو ،الفقه،الأدب بينما يُدرس الشيخ في طبقة إراوان[1] القران ،التوحيد،إلا أنه نظام قديم يعود إلى تأسيس قرى ميزاب ،وبالرغم من الدور الروحي للتعليم إلا أنه تميز بالضعف بسبب السياسة الاستعمارية.[2]

ويقصد بالتعليم الإسلامي الحر التعليم المسجدي التابع للعزابة حيث يقابله نظام الكتاتيب أو تعليم الكتاب الذي كان منتشر عند عامة المسلمين، والذي لعب دوراً مهماً في الحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية حيث علق رابح تركي في حديثه عن التعليم في الجزائر قائلاً:"...كانت الكتاتيب القرآنية منتشرة انتشاراً كبيراً في مرحلة الدراسة حيث كان لا يخلو منها حي من أحياء في المدن،

[1] تحتل المرتبة الثانية في السلم التصاعدي للهيكل العلمي والتربوي والاجتماعي في وادي ميزاب، بعد هيأة العزابة فهي تعتبر مدرسة تربصية أو حقلا تدريبيا لكسب المؤهلات العلمية ينظر: صالح بن عمر السماوي، نظام العزابة ودوره في حياة اجتماعية وثقافية بوادي ميزاب، المرجع السابق،ص89.

[2] عبد القادر قوبع، الحركة الاصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1954/1920، دار طلطيلية، 2013، ص ص42،43.

ولا قرية من القرى في أرياف وإليها يعود الفضل الكبير في محافظة على القرآن الكريم في الجزائر خلال فترة احتلال(1830-1962م/1246-1382هـ)".[1]

ثانيا:التعليم الفرنسي

تعد منطقة وادي ميزاب عاصمة علمية لكثير من الجاليات الاباضية في ليبيا وتونس وسلطنة عمان وزنجبار وغيرها طيلة قرون من حيث مدارسها وعلمائها ومكتباتها ومؤلفاتها قبل وصول الفرنسيين إليها.[2]

فبرغم من أن منطقة وادي ميزاب عرفت نظام حماية نظريا على الأقل إلا أن ميزابيون أدركوا أن هدف الاستعمار من سماحه بالتعليم الفرنسي هو لتلهية المسلمين، ومسح الشخصية الإسلامية وصرفهم عن التعليم الفَّعال، فرغم أن اتفاقية الحماية لا تحيز الفرنسيين التدخل في التعليم إلا أنهم حاربوه في ميزاب واتخذوا منه موقف سلبيا وبادروا بتهريب أبنائهم إلى مدن الشمال أو إخفائهم كلما اقترب موعد الدخول مدرسي.[3]

بعد قرار الإلحاق ميزاب بأراضي مستعمرة 30نوفمبر1882شرعت إدارة الفرنسية بإنشاء أول مدرسة فرنسية في مدينة غرداية 1888إلى 1889وطبقا لأمر 1892،فقد فتحت مدرسة رسمية ببني يزقن أبوابها يوم 15أكتوبر 1892، وفتحت مدرسة العطف

[1] عبد القادر فرحات، الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري وادي ميزاب أنموذجا (1317-1374هـ/1900-1954)، المرجع السابق، ص48.

[2] عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1954/1920، المرجع السابق، ص41.

[3] عبد القادر فرحات، المرجع السابق، ص ص58،57.

عام 1894بأول فوج من 16تلميذ تحت إشراف أوّل متعلم مزابي باللغة الفرنسية "عمر بن باحمد بالُولُّو " وكان الافتتاح الرسمي للمدرسة الجديدة عند مدخل البلدة في 01أكتوبر1898ولضمان سير الحسن لهذه المدارس أقررت إدارة الفرنسية بمنع خروج وسفر التلاميذ من وادي ميزاب إلا بترخيص .

إحصاء التلاميذ في المدارس الرّسمية عام 1906: [1]

البلدة	التلاميذ المسلمون	اليهود	الفرنسيون	المجموع
غرداية	64	109	02	175
العطف	45	0	0	45
مليكة	30	0	0	30
بني يزقن	50	0	0	50
القرارة	40	0	0	40
بريان	40	0	0	40
مزاب	269	109	02	380

[1] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية،المرجع السابق،ص171.

نلاحظ من خلال الجدول أن عدد كبير من تلامذة اليهود والفرنسيين الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية كانوا متمركزين في مدينة غرداية فقط أما باقي المدن ميزاب كان محتشم وذلك راجع لمقاطعة ميزابيين لمدارس الفرنسية، أما بالنسبة لتلاميذ المسلمين كانوا متمركزين في الكل القصور مقارنة باليهود والفرنسية الذين كانوا متمركزين في غرداية فقط.

إلى جانب مدارس التعليم العام الفرنسي قامت إدارة الاستعمارية بإنشاء مدارس التعليم المهني سنة 1896 والتي اهتمت بتدريس التجارة ثم أضيف إليها تعليم النقش على النحاس سنة1909.حيث تجدر الإشارة بالنسبة لهذا النوع التعليم من لم يكن ثابت بل تغير مع مرور الزمن لأنهم تفطنوا إلى أهمية التكوين الفرنسي وحاجة أبنائهم إليه.[1]

ثالثا:القضاء

إن القضاء الذي عرفته الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي كان متنوعاً حسب التركيبة المذهبية للمجتمع الجزائري ،حيث شكله المحتل الفرنسي وفق نظامه القضائي وهو متفرع على النحو التالي: محاكم شرعية مالكية، محاكم شرعية حنفية، محاكم شرعية إباضية.

وقبل وصول الاحتلال الفرنسي إلى منطقة وادي ميزاب بالجنوب الجزائري سنة 1882م كان القضاء الشرعي الاباضي تحت سلطة حلقة العزابة إذْ كان على رأس كل

[1] قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند الاباضية الجزائر، المرجع السابق، ص81.

قرية من قرى وادي ميزاب أو أي تجمعات أخرى من إباضية حلقة عزابة خاصة بها،[1] حيث كان القضاء في ميزاب يحتفظون بشجرة النسب لاستعمالها عند التقاضي حيث يقول العقيد بورا (Bora) :"إن القضاء هناك يحتفظون بأشجار النسب في أماكن ورسائل خاصة ،وكانت مكتوبة على جلود الغن المدبوغة،وقد طلب من قائد الناحية إسمه بلالو ،الذي كان متخرج من ثانوية الجزائر الفرنسية أن يرى ذلك بعينه،فجاءه بنموذج على يد القاضي،حيث ذكر أن من الأشجار النسبية ما يرجع إلى عشرة قرون خلت ،وكانت محفوظة في الجلود مطوية طيا خاص وموضوعة في أنابيب من الحديد لحفظها ،واستعملها عند الحاجة ،كمعرفة الأنساب وتقسيم التركات ونحو ذلك".[2]

وبعد الإعلان الرّسمي عن إلحاق ميزاب بفرنسا 1882انتزع المحتل الفرنسي سلطة القضاء من يد حلقة العزابة ،حيث أصدرت في 1882/11/07 أمر يقضي بإحداث سبع محاكم إباضية موزعة على قرى وادي ميزاب، ومجلس استئناف بغرداية هو مجلس "عمي سعيد"،وكان القضاة هم رؤساء حلقات العزابة ،حيث كان في ختم القاضي لقب "شيخ العزابة" مثلما يظهر من العقد الذي دوّنه قاضي المحكمة الاباضية ببنورة سنة1888م، وبعد وفاة القضاة الأوائل ،أصبحت مهمة القاضي خارج حلقة هذا الدور

[1] يوسف باباوا إسماعيل،"إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني (القضاء ،التشريع،الفقه)" ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد02، المجلد12، 2019،ص ص986-1008،ص990.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، المرجع السابق، صص317، 318.

يعطي للعزابة مكانة خاصة في المجتمع وهذا ما عكسته مشاهدات الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر مثل الدكتور شارل أمات.[1]

كانت هذه المحاكم تشتغل بالقضايا المتعلقة بالزواج والطلاق والنفقة والحضانة وتقسيم الميراث حسب الشرع الإسلامي وكذا النظر في الخلافات التي تقوم بين الناس، والحكم فيها حكما نهائيا في بعض الحالات وحكما ابتدائيا في حالات أخرى حيث يمكن استئنافه في المحكمة الفرنسية. [2]

رابعا:الأوقاف

لقد كان سكان وادي ميزاب يوقفون للمسجد ومصالحه وفروعه أوقاف من نخيلهم إما نخلة معينة أو عرجون تملا من كل نخلة، وهكذا توزعت الأوقاف على كامل واحات غرداية ،بالإضافة إلى صدقات من الطعام تحضر لعمارة المسجد أثناء أوقاف معينة.[3]

ومع دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر وطبق للقرار الصادر يوم1830/12/07م المؤيد بالمادة الرابعة لقانون 1851/06/16م ضبطت كافة الأوقاف الإسلامية من سجلات القضاء الإسلامي وأدرجت ضمن أملاك الدولة الفرنسية ،وبهذا القرار تم

[1] بلحاج ناصر، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة(فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2013-2014، ص179.

[2] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج01، المرجع السابق، ص338.

[3]مصطفى رباحي، "أوقاف إباضية نظام اقتصادي إسلامي"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد12،2011 ،ص489.

القضاء على جميع الأوقاف عبر كامل التراب الوطني باستثناء الأوقاف الميزابية ،غير أن هذا لم يمنع الحاكم العسكري من توجيه أمر إلى أعيان وادي ميزاب لتسجيل الأوقاف، فأحدث ذلك استياء وقلقا بني ميزاب، فانتدبوا من مدينة بني يزقن السيد حاج إبراهيم بن بيوب بليدي، فذهب إلى رئيس الملحقة بغرداية وقال له"إن كنتم تقصدون ما يطلق عليه اسم الأوقاف من عمارات أو حمامات ومئات الهكتارات من الأراضي المنتجة، فذلك ما لا وجود له عندنا وكل ما نملكه، ونطلق عليه اسم الوقف هو ماء عذب وعرجون تمر وكذا طعام من القمح يصنع الكسكس بالسمن".فقال له رئيس الملحقة "اكتب بهذا الكومندان بالاغواط ليقتنع".[1]

ولكن رغم ذلك السلطة الفرنسية أصرت على إحصاء الاحباس بالمساجد والمقابر الميزابية[2]

كما أن هناك من الأوقاف العامة والخاصة غير الأوقاف المساجد والمقابر من بينها:أوقاف موسمية تتمثل في الأعراس والعزاء،أوقاف زراعية تتمثل في التمور والفواكه،أوقاف معمارية تتمثل في منازل ومساكن العشائر ومساجد، وأيضا أوقاف الوسائل والآلات، مكتبات وشاحنات المياه العذبة.[3]

خامسا: مدارس الآباء والأخوات البيض

[1]حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج01، المرجع السابق،283.

[2]يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية،المرجع السابق، ص178.

[3] مصطفى رباحي، "أوقاف إباضية نظام اقتصادي إسلامي"، المرجع السابق، ص490.

وهي مؤسسات تبشيرية مسيحية أنشأها الكردينال لافيجري[1] بالجزائر العاصمة 1868،فأول مادخل الآباء البيض إلى منطقة متليلي بعد مجهودات معتبرة وبعد محاولات من شراء منزل وسط متليلي 1874من طرف أباء بوب بوليبي P.Plaumierوبيير بوشن P.Bouchand،فيليب مينوري F.Memoretوبمجرد وصولهم قاموا بجعل المنزل مركز لهم ولنشاطتهم، وفي سنة 1883أعاد الآباء فيلكس مالفريF.Malfreyt كيرمابونC.Kermabon فتح مركز أباء البيض بمتليلي غلقه في 1876م.[2]

لقد كان اهتمام أباء البيض منذ قدومهم إلى غرداية مُنصبا على التعليم،فأسسوا أول مدرسة لهم بالمسكن المستأجر من اليهودي،استقبلت في سنتها الأولى خمسة عشر من اليهود والعرب، كانت الانطلاقة صعبة إذ رفض الميزابيون توجيه أبنائهم إلى تلك المدرسة وتعليمهم لدى أباء البيض، حيث ظل إقبال التلاميذ متذبذبا،حيث يرتفع تدريجيا ثم ينخفض فجأة، مما جعل الأب قريزي Grissyفي1896/10م يشتكي من مغادرة

[1] كاردينال فرنسي ولد في بايون 1825 ،عمل أستاذ للتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس وشارك في توزيع المساعدات على النصارى أثناء أحداث سوريا، انتقل إلى الجزائر سنة 1867 فأسس سنة 1868جمعية مبشرين التي تعرف باسم الآباء البيض،وكان يهدف بعمله تحويل مسلمي الجزائر إلى الديانة المسيحية،ينظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، صص120،119.

[2]عبد العزيز خواجة،داود عمر، "مؤسسات الآباء البيض:الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي ملامسة سوسيو-تاريخية بمنطقة غرداية"، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد09، غرداية، 2012، ص101.

التلاميذ من مدرسته والتحاقهم بمدرسة البلدية خاصة اليهود منهم،[1]حيث عرفت مدرسة أباء البيض خلافات ومناوشات بين التلاميذ اليهود والمزابين، مما اضطر الآباء البيض نقل مقر المدرسة من الحي اليهودي في 1904/04م إلى حي الحفرة بوسط المدينة.[2]

لقد وقف الشيخ القطب اطفيش موقفا معارضا جريئا ضد الحركة التبشير،وقاد مقاومة ضد الجنرال دوسونيس De Sonis ،عندما قام الآباء البيض بكراء دار في بني يزقن،فأمر بسّد بابها إن هم باتوا فيها،نفس الموقف تبنته جماعة الضمان لبني يزقن يوم1914/01/10.[3]

من خلال ما عرض سابقا يبدو لنا أن العلاقة بين السلطة الفرنسية وأعيان الميزاب استمرت بناءًا على اتفاقية 29أفريل 1853م ،والتي نصت على عدم التدخل في الشؤون الميزابيين، ويتضح ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين أعيان الميزابية والحكام الفرنسيين بالاغواط، إذ بادرت فرنسا بنقضها لشروط الاتفاقية من خلال تدخلها في شؤون ميزاب الداخلية منها دخول مارغريت إلى غرداية بالقوة، وتعيين اليهودي يتح أغا على ميزاب.

تم فرض الحكم العسكري في ميزاب سنة 1882م وذلك بسبب استمرار الميزابيين في دعمهم للمقاومة أمثال أوالد سيدي الشيخ، الشيخ بوعمامة .

---

[1]يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص173.

[2]عبد لعزيز خواجة،"داود عمر، مؤسسات الآباء البيض:الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي ملامسة سوسيو-تاريخية بمنطقة غرداية"، المرجع السابق، ص103.

[3]يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، المرجع السابق، ص173.

أما علاقاتهم في الجانب الاقتصادي فهي تقتصر على إنشاء شركات وتطوير الفلاحة كحفر الآبار الارتوازية وبناء السدود وتعبيد الطرقات في مدن ميزاب والمدن المجاورة لها.

أما في الجانب الثقافي تتمثل في بإنشاء السلطات الفرنسية مدارس رسمية في كل قرى ميزاب وإخضاع التعليم العربي إلى رخصة، خاصة بعد قرار الإلحاق حيث شرعت فرنسا بإنشاء مدارس فرنسية في كل قرى ميزاب ولضمان السير الحسن لهذه المدارس تم منع التلاميذ الميزابيين من السفر إلا بترخيص

وبخصوص القضاء فقد عرفت منطقة وادي ميزاب محاكم شرعية إباضية، وقبل وصول الاحتلال الفرنسي كانت المحاكم تابعة لحلقة العزابة ولكن بعد قرار الإلحاق أنشئت محاكم في قرى ميزاب السبع ومجلس استئناف في غرداية.

الفصل الثالث:

انعكاسات الاتفاقية على أهل ميزاب والمقاومة الوطنية في الصحراء

المبحث الأول:انعكاساتها على سكان ميزاب

المبحث الثاني: انعكاساتها على المقاومة في الصحراء

المبحث الثالث:انعكاساتها على مسألة التجنيد

الفصل الثالث: انعكاسات اتفاقية على أهل ميزاب والمقاومة الوطنية بالصحراء .

تمهيـد:

استطاع الاحتلال الفرنسي التغلغل في منطقة وادي ميزاب عن طريق اتفاقية 29أفريل 1853م مما خلف ذلك أثارا في مختلف الجوانب على أهل المنطقة والمقاومة الوطنية في الصحراء

المبحث الأول :انعكاسات الاتفاقية على سكان منطقة وادي ميزاب.

أولا: الانعكاسات السياسية

1-كثرة الفتن الداخلية والتمردات وخاصة موقف العرب المالكية على بنود المعاهدة التي لم يذكر فيها اسمهم فأعلنوا التمرد على السلطة الفرنسية ومقاومتها عسكريا.[1]

2- رفض ثوار الشعانبة للاتفاقية وانظموا إلى ثورة الشريف محمد بن عبد الله، حيث توافدت إليهم قبائل المخادمة وبني ثور وسعيد من ورقلة وقاوموا في عدة مناطق من الجلفة إلى الاغواط إلى تقرت، أما الميزابيون رفضوا الانضمام له وذلك لعدة أسباب.[2]

3-كثرة القتل والاغتيالات كحادثة الحاج إبراهيم جريبة في بريان والتي كانت ضربة موجهة للسلطة الفرنسية نظراً للدور الذي لعبه لخدمة المستعمر[3]

[1]محمد بوسعدة، دور المزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية1930-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ، 2019-2020، ص39.

[2]يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال وثائق، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص106

[3]مفدي زكريا، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، المصدر السابق، ص153.

4-نشوب فتن داخلية بين الشق الغربي والشق الشرقي، ففي ديسمبر 1864م وقعت فتنة بين بني يزقن ومليكة وبونورة والمخاريج من أولاد عمي عيسى، ولولا تدخل متليلي والشعانبة في محلة كبيرة بالطبول والمزامير لاشتعلت أكثر.[1]

إذن فإن عقد الاتفاقية ساهم في خلق فتن بين الاباضيين بأنفسهم وتفكيك الوحدة والتعايش، وتكريس النزعة الاستقلالية وزرع الشقاق بين أبناء المنطقة.

5-تشكيل فرق أمنية محلية تسمى فرقة المهاري لحفظ الأمن بالمنطقة وكان من نتائجها انتهاك شروط الاتفاقية المبرمة بين جماعات ميزاب وقادة الاحتلال وتحولت المنطقة إلى الاحتلال المباشر كغيرها من المناطق.[2]

6-إحكام السيطرة العسكرية على منطقة وادي ميزاب وعلى باقي مناطق الجنوب ففي ديسمبر 1882م أعلن الحاكم لويس تيرمان إنهاء الحماية والإلحاق المباشر.[3]

ثانيا: الانعكاسات الاقتصادية

1-تضرر الجانب الاقتصادي وخاصة التجارة وانعدام الأمن في الطرقات وخطوط المواصلات للقوافل التجارية كون أصبحت غير أمنة بسبب اندلا ع الثوارات في الجنوب.[4]

[1]يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص142.

[2]فتيحة يطو، العلاقات بين الطوائف في وادي ميزاب وأثارها على الحركة العلمية في منطقة في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص150.

[3]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج01، المرجع السابق، ص462.

[4]فتيحة يطو، المرجع السابق، ص148.

2-حجز القوافل التجارية، ومنع بيع الحبوب في الشمال بسبب مواصلة الميزابيين بدعمهم للثوار.[1]

3- تضرر تجارة الميزابيين مع السودان بسبب التوسع الفرنسي بالصحراء وذلك للتعرف على المسالك التجارية.

4- مصادرة أملاك وثروات العائلات الميزابية المساندة للثوار وتشمل عقارات وحيوانات وآليات فلاحية.[2]

5- فرض إدارة الاحتلال ضرائب باهضة أرهقت كامل السكان كرفع الخراج المفروض على بني ميزاب عام 1853م من 45ألف فرنك إلى 13151298عام 1883.[3]

المبحث الثاني:انعكاساتها على المقاومة في الصحراء.

طبق الاحتلال الفرنسي في منطقة وادي ميزاب على طريقتين الأولى هي إبرام الاتفاقية والثانية هي الاحتلال بالقوة واستعمال السلاح، مما خلف ذلك انعكاسات على السكان الميزابيين وعلى سكان الجنوب خاصة في مسألة المقاومة والنضال ضد الاستعمار، وسنحاول إظهار ذلك من خلال النموذجين .

[1] Mangin, Op Cit, p90.

[2] محمد بوسعدة، دور المزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية1930-1962م، المرجع السابق، ص44.

[3] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص153.

أولا: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1851-1861م)

من المقاومات الجزائرية التي اندلعت في الجنوب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي مقاومة محمد بن عبد الله [1]الذي عاد من مكة المكرمة سنة1849م متشبعاً بالأفكار الثورية والجهاد المقدس بعد نصيحة من المرابط الجزائري محمد علي السنوسي[2] لمحاربة الاستعمار من الجنوب ولتسهيل نشاط محمد بن عبد الله جنوباً أعطاه هذا الأخير رسائل توصية لأهم قادة وزعماء البدو والواحات الصحراوية.[3]

ومن بين الرسائل التي سلمها بن علي السنوسي لمحمد بن عبد الله لينشط في ورقلة كانت موجهة لعبد الله بن خالد أحد زعماء المخادمة وهو رجل ذو تأثير في قبيلته ويستطيع أن يجلب له ولاء جميع المخادميين[4] إضافة إلى محادثات مع المرابطة لالة الزهرة التي حملت من حجتيها إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة معجزة التنبؤات وتواصل حماسها إلى أن انتهت بتنبؤ سكان الورقلة قائلةً:"إن محمد بن عبد الله سيكون سلطاناً ويصير مفزعاً للمسيحيين فلا بدى أن يقع ذلك"[5] وهكذا مكنته من الاستيلاء على ورقلة وتنصيبه سلطاناً عليها في أوت 1851م.[6]

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص158.

[2] فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب لبجزائري(1844-1870)تيارت، سعيدة، جيريفيل، البيض نماذجاً، المرجع السابق، ص214.

[3] Trummelet, Op Cit, p55.

[4] Ibid, p56.

[5] Ibid,p59.

[6] فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري(1844-1870)تيارت، سعيدة، جيريفيل، البيض نماذجاً، المرجع السابق، ص215.

وهكذا اتخذ محمد بن عبد الله منطقة ورقلة كمركز رئيسي لبسط سيطرته ونفوذه وذلك بعد دعم الذي تلقاه من سكان ورقلة خاصة بعد وفاة الحاج بن بابية أحد الطامعين والباحثين عن الحكم

كما استطاع محمد بن عبد الله كسب تأييد شيوخ القبائل الصحراوية مثل شيخ قبيلة الأرباع بن ناصر بن شهرة، وسي النعيمي من وأولاد سيدي الشيخ إضافة إلى قبيلة سعيد عتبة والشعانبة وبني ثور وتحالفت المشاييخ الدينية من الزوايا والعزابة والمشاييخ السياسية مثل أل بابية الرافضين للمستعمر لدعم قدرة الشريف بن عبد الله.[1]

بعد أن تمكن محمد بن عبد الله من بسط نفوذه في ورقلة، اتجه نحو تقرت ليسيطر عليها فأدى ذلك إلى دخوله في صراع مع سلطان بني جلاب[2] وخلف هذا الصراع 85قتيلا بين بني صفوان وبني جلاب،[3]بعد التفوق الذي حازه على أهل تقرت وكان هذا بفضل التفوق العددي لجنوده وفي ديسمبر1851م وقبل أن يذهب إلى حملته نحو الشمال قبض على عائلة الشيخ نقوسة [4]وصادر أملاكهم واعتقل أفرادها كشيخ بوحفص وإخواته وسجنه بالرويسات قرب ورقلة.[5]

[1] عبد القادر مرجاني، مقاومة الشريف محمد بن عبد الله(1851-1871)على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء (Les Français dans Les Désert)، المرجع السابق، ص ص331،330.

[2] بني جلاب أسسوا سلطتهم بمدينة تقرت في القرن العاشر أواخر العهد الزياني واستولوا على وادي ريغ. اتسعت تقرت واشتهرت على عهد بني جلاب فأقيمت بها القصور والجوامع التي أسسها بعض المهندسين التونسيين، ينظر: عبد القادر مرجاني، المرجع السابق، ص342.

[3] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص88.

[4] Trumelet, Op Cit,p67.

[5] Ibid, p68.

غزا بعد ذلك أولاد ساعد بن سالم في أولاد نايل وبدأ يستعد لغزو مدينة بريان وكتب إلى باقي المدن الميزابية وأمرهم بالاستسلام وتقديم الولاء والطاعة له ولكنهم رفضوا،وأجابوه بأنه إذ أراد القتال عليه أن يتجه لمحاربة الفرنسيين أعداء البلاد، ولم يدخل في صراع مع الميزابيين بل عاد أدراجه إلى ورقلة . وفي شهر فيفري 1852حاول محمد بن عبد الله الاصطدام مع الأغا شريف بن الأحرش زعيم أولاد نايل في جبل عمور وحصلت بين الطرفين معركة عاد أثرها عبد الله إلى الجنوب وأغار على بعض المدن الميزابية. [1]

وبالرغم من العلاقة المتوترة بين محمد بن عبد الله والميزابين لم يمنع ذلك من تقديم هؤلاء الدعم له وقد جاء على لسان أحد الدارسين أنه:"لم تكد تخمد ثورة القبائل حتى قام محمد بن عبد الله في واحات الجنوب يدعو إلى خوض المعركة وماهي إلا أيام الدعوة والتهيئة والتأهب حتى تقدم الميزابيون بالأسلحة والذخيرة وأخذت القبائل والقرى تسابق إلى الميدان ورغبة في النصر والشهادة..." [2]

ومن هنا نستنتج الدافع الرئيسي الذي جعل السلطات الفرنسية تلجأ إل عقد الاتفاقية مع أهل ميزاب نظراً لقوة وسرعة انتشار الثورة نحو الشمال ومع ذلك لم يوقف الميزابيون من إمداد الثوار مما دفع فرنسا لاحقا إلى عدم احترام بنودها اللجوء إلى الحكم العسكري والإلحاق المباشر لمنطقة وادي ميزاب وقد ترتب عن هذه الاتفاقية وبعدها قرار الالحاق انعكاسات سلبية أثرت على مسار المقاومة في الجنوب.

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص158،159.

[2] محمد الصالح، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟،[د.ط]، دار الهومة، الجزائر، 2009، ص64.

ثانيا:مقاومة أولاد سيدي الشيخ(1864–1883م)

اعتمدت فرنسا في توسعها في الصحراء الجزائرية منذ مطلع الخمسينيات من القرن 19 على أسلوب المراوغة والخداع وذلك من خلال كسب تأييد زعماء القبائل ومن أبرزهم قبيلة أولاد سيدي الشيخ[1] أسرة دينية تتمتع بالسلطة والنفوذ في عمالة وهران وكانت تحت إشراف المدعو سي حمزة والذي كان عونا قويا لفرنسا بالجنوب الغربي وذلك بعد بذل فرنسا جهود لعقد اتصالات معها منذ بداية الأربعينيات إلى غاية 1853 لإخضاعهم بالتعامل معهم ،وكان لها أفضال كثيرة لتحقيق السيطرة :

إسهامها في التصدي للحركات العصيانية وعلى رأسها محمد بن عبد الله.

تنظيم اتصالات على قبائل الصحراء الكبرى بواسطة الشيخ حمزة بوبكر مع التوارق وهذه المعاملة أثرت في نفوس الأهالي فاتفقوا على المناداة بالثورة.[2]

إضافة إلى تفاعل العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية عجل في اندلاع الثورة التي يمكن حصر أسبابها في النقط التالية:

[1] ينحدر أولاد سيدي الشيخ حسبما هو شائع من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق فقد هاجر أجدادهم الاوائل من مدينة المدينة المنورة بالحجاز إلى مدينة الاسكندرية بمصر ثم انتقلوا إلى تونس وبعدها إلى غرناطة،وأخيراً استقروا في واحة تانكريت التي أصبحت تعرف باسم الابيض سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني في مطلع القرن السادس عشر نسبة إلى الجد السادس والعشرون الذي يسمى عبد القادر بن محمد وانقسموا إلى قسمين قسم بزعامة ابي حفص في شرق قصر الابيض سيدي الشيخ وسميوا باولاد سيدي الشيخ الشراقة واستقر فرع الحاج عبد الكريم في غرب القصر وسميوا باولاد سيدي الشيخ الغرابة ينظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص ص 168،169.

[2] محمد الصالح، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، المرجع السابق، ص63.

1/رفض الشعب الجزائري للوجود الاستعمار الفرنسي،لأن الجزائريين نظروا إلى الفرنسيين على أنهم كفار جاءوا لتنصريهم وهم أعداء خارجين عن الملة.[1]

2/سعي السلطات الاستعمارية على تنقيص قيمة أسرة أولاد سيدي الشيخ العريقة وتحطيم نفوذها السياسي والاجتماعي وذلك بإنزال مركز عائلة سيدي الشيخ إدارياً، حيث قامت بخلع لقب الخليفة على سي بوبكر وسي سليمان ولد حمزة واستبداله بلقب الباش أغا.[2]

3/الإجحاف الضريبي والنسب المرتفعة التي لا تتناسب مع المستوى المادي للأشخاص المتباين من سنة لأخرى تبعاً للمردود الزراعي. .[3]

4/سوء معاملة ضباط المكاتب العربية تجاه سكان وذلك بعد استدعاء الضباط القدامى ذوي خبرة ومقدرة في معاملة الأهالي للعمل في حروب ايطاليا والمكسيك،وعوضوا بضباط جدد دخلاء لا خبرة لهم بأوضاع البلاد فاتسمت سياستهم بالشدة والعنف والشراسة وعدم مراعاة مشاكل الأهالي[4]

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص219.

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص177.

[3] فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري(1844-1870)تيارت، سعيدة، جيريفيل، البيض نماذجاً، المرجع السابق، ص226.

[4] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص220

لم تكن الأسباب السابقة الذكر عاملاً مباشراً لاندلاع الثورة ويبين ذلك يحي بوعزيز :"في 28جانفي1864 اجتمع سي الفضيل بن علي خوجة كاتب الباشا غا سي سليمان وعدد من أفراد أولاد سيدي الشيخ في ساحة قرية البيض وأخذوا يلعبون لعبة الهف وهي لعبة ذات شهرة وكان حاضراً معهم في الساحة عدد من الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض،وخلال اللعب تدخل أحد الصبايحية لصالح بعض اللاعبين فغضب سي الفضيل عليه ونصره وأدى ذلك إلى تدخل كل الصبايحية ضد سي الفضيل وقاموا بضربه بالعصا والأرجل أمام الملأ ولم يكتفوا بذلك بل اقتادوه إلى مقر المكتب العربي، حيث عينه الضابط الفرنسي وانحاز إلى جانب الصبايحية " [1]

وعندها علم الباشا أغا سي سليمان بالحادث أسرع إلى مقر المكتب العربي واحتج لدى الضابط الفرنسي بيران (Burin) وأطلق سراح كاتبه وأخذه معه إلى المنزل واعتبر ذلك إهانة له ولعائلته واستغله لإعلان الثورة.[2]

وفي 17فيفري1864اندلعت انتفاضة أولاد سيدي الشيخ وفي نفس اليوم جمع الأغا سي سليمان بن حمزة أتباعه وتوجه على رأسهم ناحية جنوب ميزاب في 24فيفري 1864وقبل ذلك وجه رسالة للحاكم العام يقر فيها بما أسداه والده الخليفة سي حمزة وشقيقه الباشا أغا بوبكر من خدمات لفرنسا وقال أنه أضحى مدة طويلة عرضة

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص178.
[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص179.

للمضايقات والتحرشات وبدلاً من احترام مكانته أصبحت ينتقص منها في جيرفيل (البيض) إضافة إلى وضعه تحت المراقبة وتوقيفه.[1]

إن دراستنا لهذه المقاومة كان الهدف منها هو البحث عن مدى إسهام الميزابيين فيها،

والذي مهدت وكانت سبباً في نقض اتفاقية الحماية واحتلال الميزاب بالقوة سنة1882م،[2]حيث قال أحد الدارسين الفرنسيين أنهم ساهموا فيها بالعتاد والسلاح ويقول لانيير (lanier) في هذا الصدد :"في عام1864 وبعد انتفاضة أولاد سيدي الشيخ أصبحت منطقة وادي ميزاب أخطر في الصحراء الجزائرية لأنها أصبحت ملجأ تموين الثوار بالأسلحة والعتاد"ويقول أيضا "إن الحصانات التجارية التي سمحنا لميزاب .التمتع بها لم تؤدي واجبها بل جعلت هذا البلد مستودعا للبضائع وورشة واسعة لتصنيع البارود "[3]،ولهذا سارعت فرنسا إلى نقض الاتفاق واحتلال العسكري للمنطقة مما انعكس ذلك سلبا على المقاومة الوطنية في الصحراء سوءًا مقاومة محمد بن عبد الله أو مقاومة أولاد سيدي الشيخ.

ومن خلال هذين النموذجين محمد بن عبد الله وأولاد سيدي الشيخ لنضال سكان الصحراء يمكننا الوقوف على أثار وانعكاسات الاتفاقية على المقاومة الوطنية في الصحراء في مختلف الجوانب السياسية والإدارية والاقتصادية.

[1] رين لويس، انتفاضة سنة1871م في الجزائر، تر:مسعود حاج مسعود، [د.ط]، دار الرائد للكتاب، الجزائر ، 2013، ص73.

[2] محمد بوسعدة، دور المزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية1930-1962م، المرجع السابق، ص68.

[3] L.Lanier, L'Afrique choix de lecteurs de géographie, Librairie classique eugéne et Fils, paris, p230.

أ–الانعكاسات السياسية والإدارية

بعد الاتفاقية 29أفريل1853ثم قرار الإلحاق الميزاب 1882 تم الإحكام والسيطرة الكلية السياسية والإدارية على كل مناطق الجنوب واعتبارها مناطق عسكرية خاضعة للقوانين الفرنسية[1]

في سنة 1882م صرح الحاكم العام لويس تيرمان في رسالة الإلحاق أنه لم يعين عليهم لا قائد ولا قاضي ولكن بعد المصادقة على قرار الإلحاق قاموا بتعيين قواد للمدن السبع.[2]فكان لأعيان البلد حق ترشيح ثلاثة منهم وفرنسا تختار واحداً منهم يلقب بشيخ الجماعة كمرسوم في خواتم ذلك العهد ثم انعكس الوضع وأصبحت فرنسا تسلب حق السكان في ذلك إلى أن أصبح الاختيار لها في ذلك واستبدلت لقب شيخ الجماعة باسم القائد فأصبح القائد عبارة عن عون من أعوان الحكومة يمثل سلطتها لدى الأمة.[3]

[1]فتيحة يطو، العلاقات بين الطوائف في وادي ميزاب وأثارها على الحركة العلمية في منطقة في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص150

[2] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المرجع السابق، ص156.

[3] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص113.

-في 22أفريل1884أصدر قرار انشاء بلدية أهلية لغرداية تضم القرى السبع والشعانبة ومتليلي، وفي24ديسمبر1902أصدر قانون إنشاء أراضي الجنوب وكانت أراضي غرداية مستقلة عن مزاب والهضاب العليا للاغواط والجلفة وقد قسمت إداريا إلى ملحقة الاغواط وملحقة الجلفة ومركز المنيعة وعلى رأس هذه الاراضي كومندن عسكري مقره الاغواط، [1] كنشأة فرقة موالية للسلطة الفرنسية وهم من القياد المحليون الذين تحدوا المشاعر الدينية للسكان وأظهروا ولاءهم لفرنسا وتعاملهم بالجوسسة والعمالة الصريحة أمثال[2] باسعيد بن عدون شيخ الميزابيين الذي عرف بمراسلاته لضباط المكاتب العربية واخبارهم بموعد انتفاضة أولاد سيدي الشيخ[3].

ب- الانعكاسات الاقتصادية:

يبدوا أن اتفاقية لم تقف حائلا أمام الميزابيين لمساندة الثوار، فقد كان هذا الوادي همزة الوصل بين الثوارت وقبائل الصحراء ومصدراً يمدها بالعتاد والأسلحة المصنوعة محليا من الأسواق الحرة من ليبيا وكثر تردد الثوار على أسواق ميزاب لشراء الذخيرة والأدوات الحربية.[4]فمن بين البنود التي نصت عليها اتفاقية 29أفريل 1853هي إغلاق الميزابيين أسواقهم وأبوابهم في وجه أعداء فرنسا ومع ذلك لم يبخل الميزابيين في مساندة الثوار حيث

[1] يوسف بن بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية،المرجع السابق،ص155.

[2] فتيحة يطو، العلاقات بين الطوائف في وادي ميزاب وأثارها على الحركة العلمية في منطقة في القرن التاسع عشر،المرجع السابق، ص150.

[3] Ibrahim Ben youb, Op Cit, p39.

[4] عائشة يطو، رسالة الرد على الإلحاق والاعتراض على مشروع قانون النائب جاك بيو الخاص بتعديل الملكية العقارية، ينظر: قطب الأئمة اطفيش العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن، المرجع السابق، ص149.

ساهم الميزابيين في تأييد مقاومة محمد بن عبد الله وأولاد سيدي الشيخ رفقة ابن ناصر بن شهرة والذي كان سبباً في نقض الاتفاقية[1] والذي كان سببا في نقض الفرنسيين الاتفاقية والحاق ميزاب بالحكم العسكري حيث صرح أوغستن برنارد (Auguston Bernard):"أنهم باحتلالهم لميزاب 1882قضوا على الدعم والمساندة للثوار الذي كان يقدم لهم من هذه المنطقة" [2]خاصة حينما قام الفرنسيون بإحكام سيطرتهم على مدينة الاغواط 04ديسمبر لم يجد الشريف محمد بن عبد الله ومن معه من الثوار سوى الانسحاب إلى وادي ميزاب وورقلة.[3]فتراجع الميزابيين عن مساندته ، وذلك لعدة أسباب أهمها الالتزام بشروط الاتفاقية .[4] كما هو الحال مع سكان بلدة بني يزقن عندما راسلهم الثائر بوشوشة في04سبتمبر 1871للخضوع له وتقوية ثورته فرفضوا وصمموا على مقامته. [5]

إذن يمكننا القول أن الاتفاقية المبرمة كانت سبب في انتزاع حرية وادي ميزاب الخارجية وتراجع الميزابين بتدعيم الثوار وذلك في اطار التزام بشروط الاتفاقية.

والأكثر من ذلك عمدت السلطة الاستعمارية إلى تسليط العقوبات على بني ميزاب عند اكتشافها تعاملهم ومساندتهم للثوار والدليل على ذلك ماوقع في شهر نوفمبر 1864قام أوالد سيدي الشيخ برفقة الأرباع بالتوجه إلى وادي ميزاب لجمع المؤن

[1]يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين،المرجع السابق، ص220

[2] محمدبوسعدة، دور المزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية1930-1962م، المرجع السابق، ص67.

[3] فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري(1844-1870)تيارت، سعيدة، جيريفيل، البيض نماذجاً، المرجع السابق، صص222،221.

[4] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال وثائق،المرجع السابق، ص106.

[5]. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين،المرجع السابق، ص223

والذخيرة مما أدى بالسلطة الاستعمارية وبقرار من الوالي العام حجز القوافل التجارة للميزابيين التي تغدوا بين الشمال والجنوب حتى تسلط عليهم وعلى المؤيدين لهم حرب التجويع وذلك عقابا لهم. [1]

إذن فإن تدهور المواد التجارية للميزابيين وعدم انتظام الطرق والأمن نتيجة الثورات الشعبية طيلة النصف الأخير من القرن التاسع عشر ساهمت في تأزم الأوضاع الداخلية للمنطقة وأيضا ساهمت في تراجع تموين الثوار من قبل سكان ميزاب وعدم التزام السلطة الفرنسية بنسبة الخراج المذكور في الاتفاقية والذي حدد بـ 45ألف فرنك ليرتفع دوريا وبنسب متفاوتة خاصة بعد قرار الالحاق.

المبحث الثالث:انعكاسات الاتفاقية على مسألة التجنيد .

ارتكب الاستعمار الفرنسي أبشع أعمال إجرامية وإرهابية في حق الجزائريين بعد أن فرض عليها سياسات كان الغرض منها تحطيم بنية اجتماعية فكانت من أهم السياسات الاستثنائية فرض التجنيد إجباري على شباب الجزائر وزج به في حرب العالمية الأولى والثانية.

إن قضية التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي تعود جذورها إلى بدايات الاحتلال 1830 بشكل تطوعي وفي سنة1841شكلت أولى الكتائب فبموجب هذا القانون يتحصل المجندون على راتب ومكافآت ومنحة تقاعدية بعد إتمام 15سنة.[2]

[1] يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص221.

[2] Raspail, Étude sur le service militaire obligatoire des indigènes en Algérie, Librairie militaire, Paris, 1910,p

دخلت فكرة التجنيد الإجباري حيز التنفيذ سنة1907 بعد قضاء النائب البرلماني Adolphe Messimy عل التجنيد التطوعي سنة 1903م [1]

وقد تجسد هذا المشروع بداية 31جانفي1912 ثم أقر بمرسوم أخر 3ديسمبر1912 بإخضاع الجزائريين بالقوة وادارجهم ضمن صفوف الجيش الفرنسي من أجل إعدادهم للمشاركة في الحرب العالمية الأولى.[2] فهذه القضية جعلت الشعب الجزائري يعيش حالة من الغليان الاجتماعي الخطير فلجأ المسلمون إلى العنف ولم تأخذ هذه الأوضاع مأخذ الجد ولم يسمع المطالب الجزائريين فتطورت هذه الأمور إلى اغتيالات ومصادمات مع الشرطة وتكوين فرق إرهاب، أما الشباب الذين كانوا معنيين بالتجنيد إجباري فقد هربوا إلى الجبال وتواروا عن الأنظار وبذلك وضعت الجزائر على حسب تقرير الفرنسي في حالة خطر. [3]

فلوضع فيما يخص قضية التجنيد الإجباري كان شديد التوتر حيث أفضت هذه القضية إلى تصور يصعب تقبله، لكون ماينتج عن هذا التجنيد من نتائج سلبية حاضراً أو مستقبلاً، حيث رفض الميزابيون تجنيد أبنائهم خاصة في صفوف الجيش الفرنسي، فتوالت الاحتجاجات ضد التجنيد الإجباري خاصة في منطقة وادي ميزاب حيث بعث بنو مزاب يوم03مارس1912 شكاوي إلى كل من غرداية والوالي العام ورئيس الحكومة لكن كان موقف دون جدوى من هذه العرائض فتبعها مرة ثانية إرسال تقرير إلى رئيس الحكومة في 08جوان1912يشرح فيها: أسباب التجنيد الإجباري، تعارضه مع الدين

[1] شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1919/1871، ج02، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007، ص728.

[2] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر: أحمد بن البار، 01، دار الامة، الجزائر، 2011، ص34.

[3] أبوالقاسم سعدالله، حركة الوطنية الجزائرية،ج01، المرجع السابق، ص ص119-122.

الإسلامي سوء نتائجه الاقتصادية على مزاب وسكانه وفي مخالفته لبنود اتفاقية 1853.[1]

توالت السنوات الحرب العالمية الأولى واستجابت الكثير من المناطق الجزائر الشمالية وأقاليم الجنوبية بإرسال أبنائهم للتجنيد الإجباري طوعاً أو كرهاً، وتمسك المزابيون بموقفهم المعبر عن الرفض الشديد.

وكانت سنة1918م وهي بداية التجنيد الفعلي لحصة الميزاب من المجندين ضمن دفعة1919وهي 238شاباً غير أن جماعات مدن مزاب امتنعت من وضع قوائم

الشباب المجندين وعبرت عن احتجاجها،وبمساعدة القواد توصلت السلطات الفرنسية سنة1919م إلى وضع قوائم اسمية لعدد محدد واستطاعت بمنتهى العنف تجنيد النصف تقريباً،وامتنع الباقي من الشباب بإخفاء أثره والتوجه إلى أماكن أخرى في مزاب ومدن التل بإخفاء مقرات إقامتهم واعتبروهم متمردين.[2]

استمرت الاحتجاجات ضد التجنيد الإجباري وتعاطف بعض من أعلام الميزابيين منهم دعاة الحركة الإصلاحية ، فلوحيد الذي لم يبدي معارضته للقرار سوى القاضي داود لما رافعه لصالح التجنيد الإجباري ولقي مصيره بتصفيته في31جويلية1919، ولقد قابل هذا الإصرار إصرار فرنسي تمثل في تقرير وزير الحرب إلى الحاكم العام باعتبار الميزابيين رعايا فرنسيين مثل غيرهم من الجزائريين وإلزامهم بالتجنيد، ومن هنا نستنتج وبالرجوع إلا اتفاقية الحماية التي نصت على أن الميزابيين مستقلين ذاتيا أي مستقلين عن باقي القطر

[1] حميد أيت حبوش، قانون التجنيد الإجباري 1912م، ط04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص119-122.

[2] حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المرجع السابق، ص162.

الجزائري فهم غير معنيين بقرار التجنيد الإجباري الذي أقرته السلطة الاستعمارية وهذا مايؤكده المحامي برينال (Prunelle):"إن الأمة التي تدفع ضريبة وتتميز بالاستقلال الذاتي لاتجب عليها الخدمة العسكرية،إلا إن اتفقت مع الدولة صاحبة الحماية على ذلك في نص اتفاقية وهذا مالم يحدث مع سكان مزاب"[1]

وفي خطوة أخرى عارض أعيان المزابيين تطبيق التجنيد الإجباري لسنة 1919، واستندوا في عرائض قدموها إلى مجلس الدولة الفرنسية إلى ثلاثة نقاط أساسية، وتتمثل هذه النقاط في:

أولا: إن الاتفاق الواقع في 29أفريل 1853م لم يكن قط المقصد منه إلحاق مزاب، وإنما جعل هاته البلاد تؤدي خراجاً لفرنسا ومحتمية بها.

ثانيا: إن الأمر المؤرخ في 31ديسمبر1882 لم يكن قاضياً بإلحاق مزاب بالدولة الفرنسية مثلما صرح به الوالي العام للجزائر.

ثالثا:إن ميزاب الذي لم يقع إلحاقه قط لفرنسا تتكون منه اليوم جامعة مستقلة تدفع خراجاً، وأهاليها ليسوا برعية فرنسيين، وبهذه الصفة لا يمكن شرعاً إدخالهم تحت الخدمة العسكرية.[2]

[1] الحاج موسى بن عمر، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام مزاب1902-1962م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2007-2008، ص83.

[2] محمد بوسعدة، دور المزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية1930-1962م، المرجع السابق، ص104.

من خلال ما عرض سابقا يبدو لنا أن اتفاقية الحماية 29أفريل 1853م كان لها أثار وانعكاسات سلبية على سكان ميزاب خاصة في المجال السياسي والاقتصادي، فبسبب الاتفاقية ظلت منطقة وادي ميزاب مسرحاً للأحداث والفتن الداخلية خاصة بين الشق الغربي والشق الشرقي، إضافة إلى اغتيالات والتمردات والثورات في المنطقة.

أما في المجال الاقتصادي فتمثلت في حجز القوافل التجارية ومنع الميزابيين بيع الحبوب في الشمال وذلك بسبب دعمهم للثوار، إلا أن أثر الاتفاقية على المقاومة في الجنوب فقد ساهمت في تراجع الميزابيين عن دعم المقاوميين وذلك في إطار الالتزام بشروط الاتفاقية التي تنص على غلق الأبواب والأسواق أمام أعداء فرنسا، وعلى أثر ذلك أصدر لويس تيرمان قرار إلحاق منطقة ميزاب بالحكم العسكري سنة1882.

رفض الميزابيون قرار التجنيد الإجباري بحجة أن منطقة وادي ميزاب لها حكم ذاتي وفقا لبند من البنود اتفاقية 1853 لكن بعد قرار الإلحاق 1882فرض عليها قانون التجنيد الإجباري كغيرها من المناطق الخاضعة للحكم العسكري.

الخاتمـــــة

توصلنا في ختام هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن حصرها فيما يلي:

رغم طبيعة المناخ وشبكة تضاريسها الصعبة التي تتميز بها منطقة وادي ميزاب إلا أن سكانها استطاعوا التأقلم والتكييف، حيث تمكنوا من تعميرها وتشييد قصور ذات طابع معماري يتناسب مع طبيعة المنطقة، أما من ناحية السكان فهي خليط بين العرب والبربر من جهة وتنوع الثقافي يعود أصله إلى تنوع مذهبي بين الاباضية والمالكية من جهة أخرى.

اتخذت منطقة وادي ميزاب موقعاً مغايراً لمقاومة الاحتلال الفرنسي وذلك بعقد اتفاقية 29أفريل 1853م بين أعيان القرى السبع والقائد دوبراي نيابة عن الحاكم العام راندون في مدينة الاغواط وذلك من اجل ضمان مصالحهم وتسيير شؤونهم بأنفسهم، وهذا ما أدى في السياق إلى طرح الاستفهام مفاده: هل اتفاقية الحماية كانت نصر أم استسلام؟ فإذا اعتبرناها نصراً ذلك أنها لم تعطي الفرصة لفرنسا لتدمير ما أقاموه الميزابيون لسنين طوال خاصة أن منطقة وادي ميزاب لها مميزات اجتماعية، سياسية، ثقافية دينية والتي حققت نوعا من الاستقرار الذاتي الذي عرفته المنطقة إلى غاية الإلحاق المباشر سنة 1882م، وإذا اعتبرناها استسلام ذلك للآثار السلبية التي خلفتها على سكان ميزاب والمقاومة في الجنوب التي عرفت تراجعا.

استمرت العلاقة بين السلطة الفرنسية وسكان ميزاب في مختلف الجوانب السياسية، العسكرية، الدينية الثقافية بناءاً على اتفاقية 29أفريل 1853م، ويتضح ذلك من خلال

الرسائل المتبادلة بين الأعيان الميزابية الاغواط خاصة في المجال السياسي، وهنا يبقى السؤال المطروح هل الشيخ باسعيد عدون قدم الخدمة لفرنسا من اجل الحفظ السلامة في الصحراء عموماً أم من اجل ضمان مصالحه الشخصية؟ إذ استطاعت السلطة الاستعمارية وضع يدها في المنطقة بواسطة تعاون العنصر المحلي المتمثل في بعض من الأعيان ليتطور الأمر لاحقا بالتفكير في السيطرة المباشرة على المنطقة من خلال نقض الاتفاقية وإعلان الإلحاق المباشر للمنطقة بإصدار قرار 1882، إذ بادرت فرنسا بنقض الاتفاقية وذلك بتدخل في الشؤون الداخلية للميزابيين، مما أدى إلى ظهور اغتيالات وفتن في المنطقة.

تم فرض الحكم العسكري في ميزاب سنة1882م وذلك بسبب استمرار الميزابيين في دعمهم للمقاومة في الصحراء، وبخصوص الجانب الاقتصادي فلم تعطى أهمية ، ذلك أن منطقة وادي ميزاب مازالت مستقلة ذاتياً وبعد قرار الإلحاق سنة 1882م،أصبحت منطقة وادي ميزاب منطقة فرنسية، وذات اهتمام بالمشاريع خاصة في الميدان الفلاحة كحفر الآبار الارتوازية وبناء السدود وتعبيد الطرقات.

وبخصوص الجانب الديني أصدرت السلطات الفرنسية أمرا يقضي بإنشاء مدارس رسمية في كل قصور بني ميزاب وإخضاع التعليم العربي إلى رخصة، فهم كانوا يتحاشون هذه المراكز لأنها حساسة فكان الهدف من هذا مسح الهوية الشخصية الإسلامية وصرفهم عن التعليم الفعال، فبعد قرار إلحاق قامت فرنسا ببناء عدة مدارس فرنسية كما أنها قامت بمصادرة جميع الأوقاف، المساجد، النخيل، الآبار وإدراجها ضمن الممتلكات

الفرنسية، إضافة إلى دور رجال الدين انصب اهتمامهم منذ وصولهم إلى المنطقة وادي ميزاب على التعليم، فأسسوا عدة مؤسسات تبشيرية في قرى ميزاب والذي قابله الميزابيون بالرفض من توجيه أبنائهم إليها.

كان لاتفاقية 29أفريل 1853م انعكاس على المقاومة الوطنية بالصحراء ولاسيما مقاومة محمد بن عبد الله بورقلة والاغواط ومقاومة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي بفرعها الشراقة والغرابة، فبسببها ظلت المنطقة مسرحاً للفتن والأحداث والتمردات والتي كانت سبباً من بين الأسباب نقض الاتفاقية وأقحمت المنطقة ضمن السيطرة الفرنسية.

كما استمرت السلطة الفرنسية الاستعمارية في وضع سياسات تعسفية واستثنائية استهدفت الميزابيين منها قانون التجنيد الإجباري الذي فرض عليهم كما فرض على كل الجزائريين ، حيث أصبح هذا قانون يطبق على المنطقة بعد ما كانت ميزاب تحت الحكم الذاتي.

وفي الأخير نستخلص أن الميزابيون لجأوا إلى عقد الاتفاقية لحماية مصالحهم التجارية، إضافة إلى التهديدات التي تعرضوا لها من طرف سلطة الاحتلال، أما فرنسا فقد اتخذتها أسلوبا جديدا لبسط نفوذها وسيطرتها على المنطقة وأدركت خطورة الموقف الجغرافي وصعوبة السيطرة عليها عسكريا.

الملاحـــق

الملحق رقم01:إتفاقية 29أفريل1853.

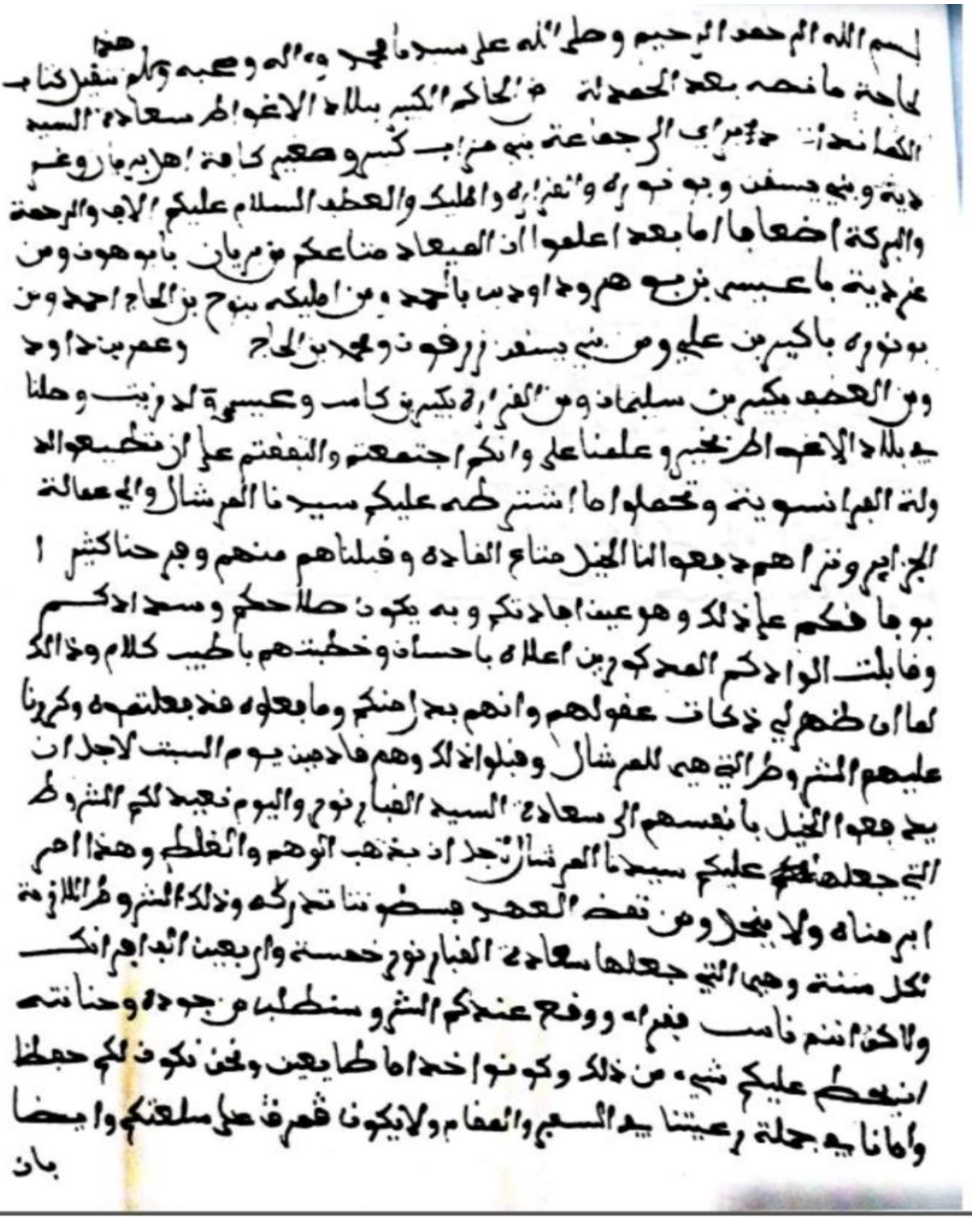

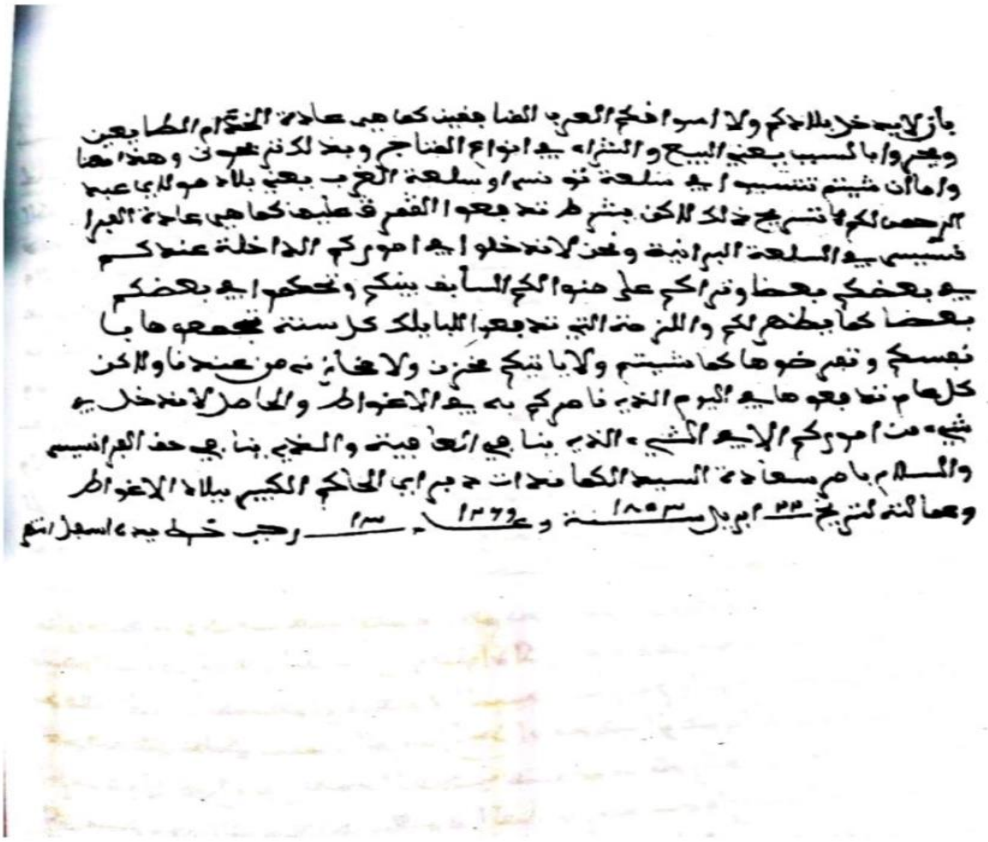

حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الزائر قديما حديثا، ج01، مطبعة البعث، قسنطينة،ص272.

معاهدة الحماية المبرمة بين أعيان بني مزاب والدولة الفرنسية يوم 22 أفريل1853

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذه نسخة من نص معاهدة الدولة الفرنسوية لبني ميزاب

الأغوط 22أفريل 1853

من الحاكم الكبير ببلاد الأغواط سعادة السيد الكوماندان دبراي إلى جماعة بني ميزاب كبير وصغير كافة أهل بريان وغرداية وبني يسقن وبنوره والقرارة ومليكة والعطف السلام عليكم آلافا والرحمة والبركة أضعافا.

أما بعد اعلموا أن الميعاد متاعكم من بريان بابهون ومن غرداية باعيسى بن بهون وداود بن باحمد ومن امليكة بنوح بن الحاج أحمد ومن بنوره بكير بن علي ومن بني يسقن زرقون ومحمد بن الحاج وعمر بن داود ومن العطف بكير بن سليمان ومن القرارة بكير بن كاسي وعيسى ولد الزيت وصلوا بلاد الأغواط بخير وأعلمونا على أنكم اجتمعتم واتفقتم على أن تطيعوا الدولة الفرنسوية وتحملوا ما اشترطه عليكم سيدنا المرشال والي عمالة الجزاير وتراهم دفعوا لنا الخيل متاع القادة وقبلناهم منهم وفرحنا كثيرا بوفاقكم على ذلك وهو عين إفادتكم وبه يكون صلاحكم وسدادكم وقابلت أولادكم المذكورين أعلاه بإحسان وخاطبتهم بأطيب كلام وذلك لما ظهر لي من ذكاء عقولهم وأنهم بدل منكم وما فعلوا قد فعلتموه وكررنا عليهم الشروط التي هي للمرشال وقبلوا ذلك وهم قادمين يوم السبت لأجل أن يدفعوا الخيل بأنفسهم لسعادة السيد القبرنور واليوم نعيد لكم الشروط التي جعلها عليكم سيدنا المرشال لأجل أن يذهب الوهم والغلط وهذا أمر أبرمناه ولا ينحل ومن نقض العهد فسطوتنا تدركه وتلك الشروط لازمة لكل سنة وهي التي جعلها سعادة القبرنور خمسة وأربعون ألف افرنك ولكن أنتم ناس

فقراء ووقع عندكم الشر وسنطلب من جوده وحنانته أن يحط عليكم شيئا من ذلك وكونوا خداما طايعين ونحن نكون لكم حفظا وأمانا في جملة رعيتنا في السفر والمقام ولا يكون قمرق (جمرك) على سلعتكم وأيضا بأن لا يدخل بلادكم ولا أسواقكم العرب المنافقون كما هي عادة الخدام الطايعين واتجروا بالسبب يعني البيع والشراء في أنواع المتاجر وبذلك تربحون وهذا معنا، وأما إن شئتم تتسببوا في سلعة تونس أو سلعة الغرب يعني بلاد مولاي عبد الرحمان لكم تسريح ذلك لكن بشرط تدفعوا القمرق (جمرك) عليها كما هي عادة الفرانسيس في السلعة البرانية. ونحن لا ندخل في أموركم الداخلة عندكم في بعضكم بعضا كما يظهر لكم واللزمة التي تدفعوها للبايلك كل سنة تجمعوها بأنفسكم وتفرضوها كما شئتم ولا ياتيكم مخزن ولا مخازني من عندنا ولكن كل عام تدفعوها في اليوم الذي نامركم به في الأغواط.الحاصل لا ندخل في شيء من أموركم إلا في الشيء الذي ينافي العافية والذي ينافي حق الفرانسيس والسلام.
بأمر سعادة السيد الكوماندان دابراي الحاكم الكبير ببلاد الأغواط وعمالتها لتاريخ 22أفريل سنة 1853م/ 13رجب عام 1265هـ.

-

الملحق رقم02: رسالة قرار إلحاق منطقة واي ميزاب بفرنسا

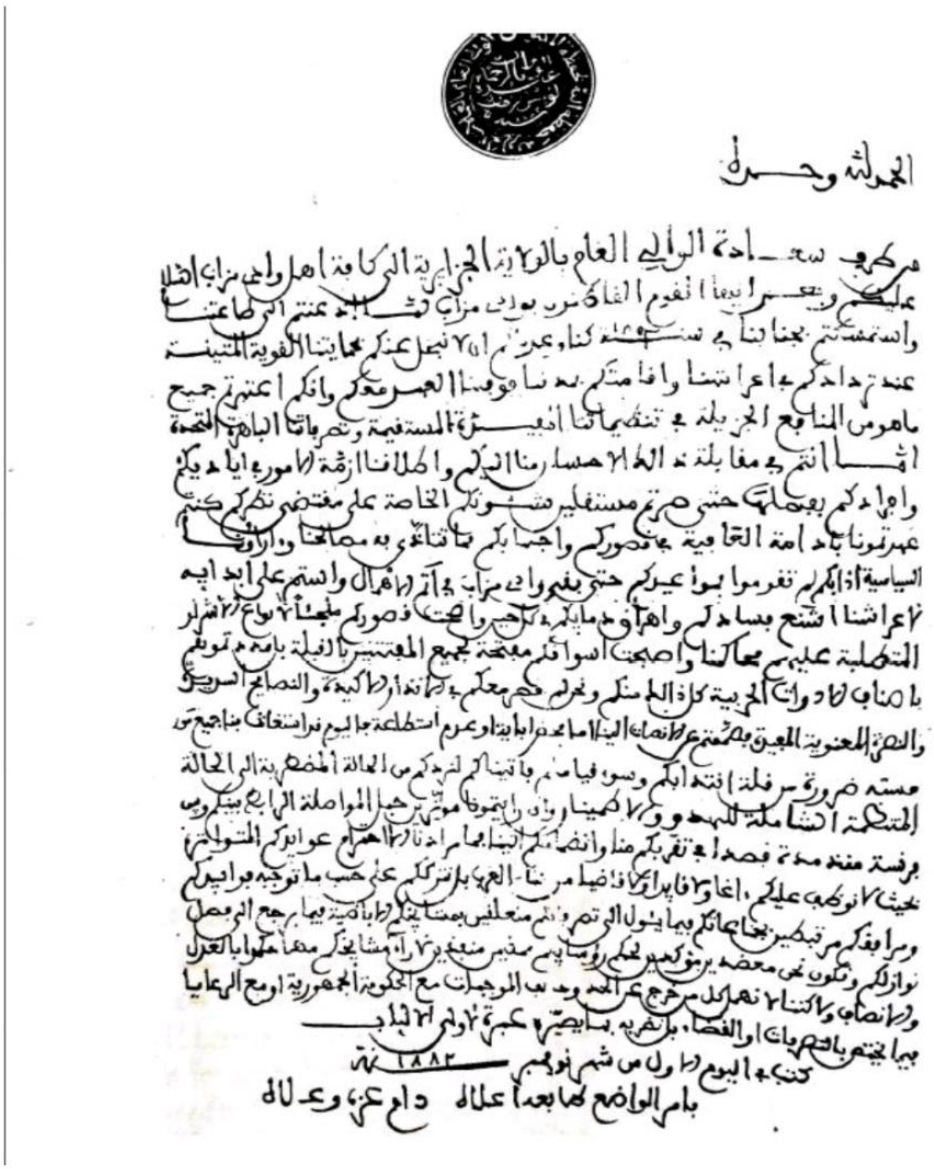

حمو عيسى النوري، دور الميزابيين فيتاريخ الزائر قديما حديثا، ج01، مطبعة البعث، قسنطينة،ص205.

قرار إلحاق وادي مزاب من طرف الحاكم العام لويس تيرمان

الحمد لله وحده

من طرف سعادة الوالي العام بالولاية الجزايرية إلى كافة أهل وادي مزاب السلام عليكم وبعد أيها القوم القاطنون بوادي مزاب لما أذعنتم إلى طاعتنا واستمسكتم بجنابنا في سنة 1853 كنا وعدناكم أن لا نبخل عنكم بحمايتنا القوية المتينة عند ترادكم في أعراشنا وإقامتكم بمدننا فوفينا العهد معكم وأنكم اعتبرتم جميع ما هو من المنافع الجزيلة في تنظيماتنا المفيدة المستقيمة وتصرفاتنا الباهرة المتحدة. أما أنتم في مقابلة ذلك الإحسان منا إليكم وإطلاقنا أزمت الأمور في أياديكم وإفرادكم بفصلها حتى صرتم مستقلين بشؤونكم الخاصة على مقتضى نظركم كنتم عهدتمونا بإدامة العافية في قصوركم واجتنابكم مما تتأذى به مصالحنا وآراؤنا الساسية إذا بكم لم تقوموا بمواعيدكم حتى بقي وادي مزاب في أتم الإهمال واستمر على إيذائه لأعراشنا أشنع فسادكم وإهراق دمائكم في كل حين وأضحت قصوركم ملجئا لأنواع الأشرار المتطلبة عليهم محاكمنا وأصبحت أسواقكم مفتحة لجميع المفتتنين بالقبلة بل مددتموهم بأصناف الأدوات الحربية كل ذلك منكم ونحن لم نقصر معكم في الإنذار الأكيدة والنصائح السديدة والنصرة المعنوية المفيدة فصممتم عن الإنصات إلينا إما محضرا بائتا أو عدم استطاعة فاليوم قد استغاث بنا جميع من مسته ضرورة من قلة انتدابكم وسوء قيامكم فأتيناكم لنردكم من الحالة المضطربة إلى الحالة المنتظمة الشاملة للهدوء والاطمئنان وإن رأيتمونا موازين حبل المواصلة الرابط بينكم وبين فرنسة منذ مدة قصدا في تقربكم منا وانضمامكم إلينا فما مرادنا إلا احترام عوائدكم المتواترة بحيث لا نوظف عليكم آغا ولا قايدا ولا قاضيا من أبناء العرب

بل نترككم على حسب ما توجبه فوائدكم ومرافقكم مرتبطين بجماعاتكم فيما يؤول إلى تصرفاتكم متعلقين بمشايخكم الإباضية فيما يرجع إلى فصل نوازلكم ونكون نحن معضدين مؤكدين لكم رؤسائكم ممضين منفذين لآراء مشايخكم مهما حكموا بالعدل والانصاف ولكننا لا نهمل كل من خرج عن الحد وخالف الموجبات مع الحكومة الجمهورية أو مع الرعايا فيما يختص بالتصرفات أو القضاء بل نضربه بما يصيره عبرة لأولي الألباب كتب في اليوم الأول من شهر نوفمبر سنة 1882.بأمر الواضع طابعه أعلاه دام عزه وعلاه

الملحق رقم03: خريطة تبين جغرافية بلاد الشبكة.

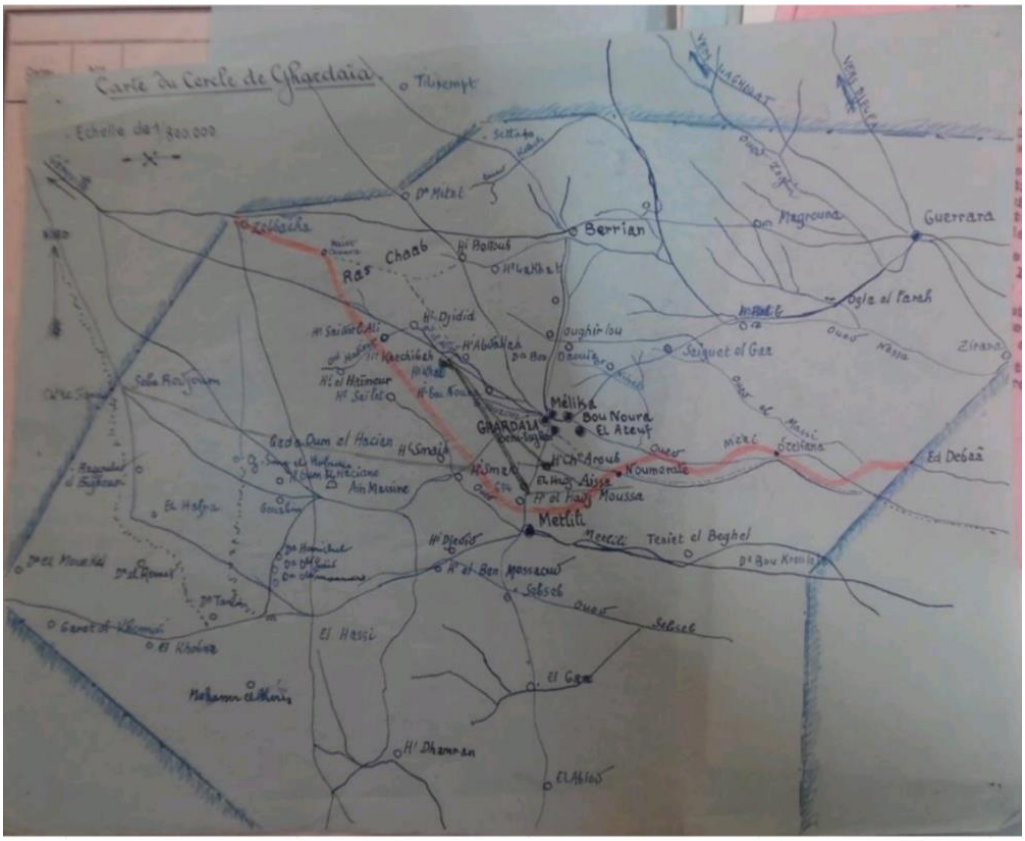

عبد القادر فرحات، الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري وادي ميزاب انموذجا (1317-1374هـ/1900-1954م) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)في التاريخ الحديث والامعاصر،جامعة غرداية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2022-2023، ص 278.

قائمـة المصادر والمراجع

1-المصادر العربية :

1- **اطفيش محمد بن يوسف**، الرسالة الشافية، مكتبة الحاج صالح لعلي، بني يزقن.

2-**ابن خلدون عبد الرحمان**، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج07، دار الأفكار الدولية،[د.م]،[د.ت]

3- **أجرون شارل روبير**، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1919/1871، ج02، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007

4- **بفايفر سيمون**، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق:أبوالعيد دودو، [د.ط]، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

5- **دبوز محمد علي**، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1 ،عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

6- **الدرجيني أبي العباس أحمد**، طبقات المشايخ، ج01،تح:إبراهيم طلاي، الزهراء للإعلام العربي.

7- **زكريا مفدي**، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تق: إبراهيم بحاز، ط1،منشورات ألفا، الجزائر ،2010.

8- **رين لويس**، انتفاضة سنة1871م في الجزائر، تر:مسعود حاج مسعود، [د.ط]، دار الرائد للكتاب، الجزائر ، 2013.

9- **شالر وليام**، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تق:إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والمعرفة، الجزائر، 1982.

10- **الأغواطي الحاج ابن الدين** ، مجموع رحلات ،تح:أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.

2-المصادر باللغة الفرنسية:

11- A.coyne, Le mzab, Adolphe jourdan, libaraire_ editeur, Alger, 1879.

12**- Bourdieu Pierre**, Sociologie De L'Algérie, Huitiéme édition, [sans année].

13- **Charles Amat**, Le mzab et le mezabites,lirairie algérienne coloniale, paris, 1888.

14-**Daums**,Le sahara Algérien,études géographiques ,statisitiques et historique ,paris,1845.

15- **A.M. Goichon**.La vie Féminine au mzab ,étude de socoogie musulmane, libraire orientabliste paul geuthner, paris,1927.

16- **Ibrahim ben youb**, De L'indigénat Son Application Aux mozabites, imprimerie Admistrative et commerciale moderne philippeville, 1903.

17**- L.Lanier**, L'afrique choix de lecteurs de géographie Accompagnées De Résumés D'analyses de nots explicatives et Bibliographiques, Librairie classique eugéne et Fils, paris,1884.

18**- Mangin**,Notes sur L'histoire de L'aghout, place du goverment ,Alger.

19- **E.Masqueray**, Formation des cités chez les population sendentaires de L'algérie (Kabyles du Djuurdjura ,chaouï de l'Aourâs, Beni Mzab [...], Thése présentée a la faculté des lettires , paris, 1886.

20-**Robin**, Le mzab et son Annexcien a la France.Imprimeur, libraire de L'ocdenie ,Alger ,1884.

21-.**Randon**. Mémoires du Maréchal Randon,Typoraphie lahure, Tome premier, paris, 1875.

22- Raspail, Étude sur le service militaire obligatoire des indigènes en Algérie, Librairie militaire, Paris, 1910.

23-**Soleillet Paul**, L'afrique accedentale: Algerie, mzab,tildikelt,chez challamel ainé ,paris,1877.

24- **Trumelet**, Les Français dans les desert journal historique Millitaire et descriptif d'une expedition Aux limites du sahara, Algérien, éditeur libraire, paris,1885.

المراجع باللغة العربية:

25- **أعوشت بكير** ، وداي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا،تاريخيا،اجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1991.

26- **احميدة اعميراوي وآخرون**، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916،[د.ط]، دار الهدى، عين مليلة ،2009.

27 - **احميدة اعميراوي**، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، [د.ط]، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة،[د.ت].

28-**أيت حبوش حميد**، قانون التجنيد الإجباري 1912م، ط04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992

29- **البعلبكي منير**، موسوعة معجم أعلام المورد، ط01،دار العلم، بيروت، 1992.

30- **بلحاج قاسم بن أحمد الشيخ** ، معالم النهضة الاصلاحية عند الاباضية الجزائر، ط1، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، غرداية،2011.

31- **بوعزيز يحي**، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، [د.ط]، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

32- **بوعزيز يحي**، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

33- **بن صحراوي كمال**، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن التاسع عشر ،شخصيات،أماكن ،أحداث ،معارك، ط01، ألفا، قسنطينة،الجزائر، 2020.

34- **جلال يحي**، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1960، [د.ط]، دار المعرفة، القاهرة،[د.ت].

35- **عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام ،ج1، [د.ط]، دار الأمة،[د.ت].

36- **الحاج سعيد يوسف بن بكير**، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3،المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد ،غرداية، 2014.

37- **سعد الله أبو القاسم**، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج02،[د.ط]، دار الرائد،الجزائر،2009.

38- **سعد الله أبو القاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

39- ــــــــــــــ ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج06، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

40- ــــــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج07، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998

41- **شهبي عبد العزيز**، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2007.

42-**الصديق محمد الصالح**، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟،[د.ط]، دار الهومة، الجزائر، 2009.

43- **قداش محفوظ**، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر: أحمد بن البار، 01، دار الأمة، الجزائر، 2011.

44- **قوبع عبد القادر**، الحركة الاصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1954/1920، دار طلطيلية، 2013.

45- **مجموعة باحثين**، معجم مصطلحات الإباضية، ج02، ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2008.

46- **معمر يحي علي**، الإباضية في موكب التاريخ،ط3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان،2008.

47- **معروف بلحاج**، العمارة الإسلمية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية ،ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع ،2007.

48- **المدني أحمد توفيق**، كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظامها وقوانينها ومجالها وحالتها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، المؤسسة الوطنية، 1984.

49- **الميلي مبارك**، تاريخ الجزائر القديم والحديث، تق:محمد الميلي،ج2، [د.م]،[د.ت].

50- **النوري حمو عيسى**، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1،وزارة الثقافة، قسنطينة، 2015.

51- **يطو عائشة**، رسالة الرد على الحاق واعتراض على مشروع قانون النائب جاك بيو الخاص بتعديل الملكية العقارية بالجزائر للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش،ضمن كتاب قطب

الأئمة اطفيش العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011.

المراجع باللغة الفرنسية:

52-**Benyoucef Ibrahim**, le m'zab parcours millenaire ,Editions Alpha ,Alger,[Sans Année].

53- **Roche Manuelle**, Le mzab Architecture ibadite en Algerie, Arthoud,2020.

المجلات باللغة العربية:

54- **إسماعيل يوسف باباوا**،"إسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني (القضاء، التشريع،الفقه" ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد02، المجلد12، 2019،ص ص986-1008.

55- **ناصر بالحاج**،" السيطرة الفرنسية على منطقة وادي ميزاب فيما بين 1853-1882 "، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 01، المجلد 06، قسنطينة، ص-ص349-362.

56- **مليكة بن قومار**،"المنجز الفكري والإصلاحي في أثار الشيخ "أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي"، مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبيبالجنوب الجزائري ،كلية الأداب واللغات، العدد30،غرداية،2022،ص ص799-808.

57- **حشاني أحمد**، "نظام العزابة ودوره في تأمين التماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي في منطقة وادي ميزاب" ، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية، المدرسة للعلوم السياسية، العدد09، 2020.

58- **حنازلة صوفية**،"مؤسسات السلطة الدينية :العرفية والمدنية في مزاب بالجزائر "، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد13، الدوحة، 2021.

59- **خواجة عبد لعزيز**،**داود عمر**، "مؤسسات الآباء البيض:الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي ملامسة سوسيو-تاريخية بمنطقة غرداية"، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد09، غرداية، 2012.

60- **رباحي مصطفى**، "أوقاف إباضية نظام اقتصادي إسلامي"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد12، 2011.

61- **مرجاني عبد القادر**،"مقاومة الشريف محمد بن عبد الله على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء"، مجلة الباحث، العدد03، المجلد 12،بوزريعة،ص ص325-348.

62- **فتيحة يطو**،"معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، العدد01 ،2009.

المجلات باللغة الفرنسية:

63- **Fatiha Sifou**, Un aspect de la résistance mozabite contre la domination française (1830-1914), Dialogue Méditerranéen, Vol.9 (n°1) , Algérie, 2018, pp(24-40).

ا

لرسائل والأطروحات الأكاديمية:

64- **الحاج موسى بن عمر**، القضايا الوطنية والعربية الاسلامية من منظور أعلام مزاب1902-1962م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2007-2008.

65- **بلحاج ناصر**، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة(فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2013-2014.

66- **محمد بوسعدة**، دور المزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة الجزائرية1930-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، كلية العلوم الاجتياعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ، 2019-2020.

67– **دادي إبراهيم حمو**، أثر العوامل الثقافية والاجتماعية على ثقافة المقاولة عند بني ميزاب،أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علوم التسيير، تخصص اقتصاد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة الجزائر 03،كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 2020-2021.

68- **صالح بن عمر اسماوي**، نظام العزابة ودوره في حياة اجتماعية وثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجيستر تاريخ إسلامي ،جامعة الجزائر، 1986.

69- **عبد القادر عزام عوادي**، هجرة سكان بني ميزاب إلى تونس ودورهم السياسي والفكري في الحياة التونسية خلال فترة (1881-1956)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية -أدرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الانسانية،2015 -2016.

70-**فاطمة حباش**، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري في الغرب الجزائري،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران ،2013-2014.

71- **فتيحة يطو**، العلاقات بين الطوئف في وادي ميزاب وأثاراها على الحركة العلمية في المنطقة في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،2018 -2019

72-**فرحات عبد القادر**، الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري وادي ميزاب انموذجا (1317-1374هـ/1900-1954م) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)في التاريخ الحديث والامعاصر،جامعة غرداية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2022-2023.

73- **فتيحة يطو**، العلاقات بين الطوئف في وادي ميزاب وأثاراها على الحركة العلمية في المنطقة في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،2018 -2019.

الرسائل والأطروحات باللغة الفرنسية:

74-**Noha spiga**, Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mozabite contemporaine, mémoire de magister,Université Mouloud,faculte des sciences Humaines et Sociales, Tizi-ouzou,2010.

الفهـــرس

الفصل التمهيدي: لمحة جغرافية و تاريخية عن منطقة وادي ميزاب قبل الاحتلال	**15**
أولاً:جغرافية منطقة بني ميزاب.	**15**
ثانياً:أصل تسمية بني ميزاب.	**16**
ثالثاً:تأسيس مدن الميزابية.	**18**
رابعاً :الأوضاع العامة لمنطقة وادي ميزاب	**23**
الفصل الأول: اتفاقية الحماية 29أفريل1853	**38**
المبحث الأول: دوافع وأسباب إبرام اتفاقية 1853.	**38**
أولا:الدوافع الميزابية	**38**
ثانيا:دوافع الفرنسية	**40**
المبحث الثاني:مجريات عقد الاتفاقية وبنودها	**42**
المبحث الثالث: أهداف الاتفاقية	**43**
أولا:الأهداف العلنية	**43**
ثانياً: الأهداف الخفية	**48**
الفصل الثاني: العلاقة بين الإدارة الفرنسية الاستعمارية وأعيان وادي ميزاب	**55**
المبحث الأول: سياسياً وعسكرياً	**55**
المبحث الثاني: اقتصادياً	**67**
أولا:الفلاحة	**67**
ثانيا:تعبيد الطرقات	**69**
المبحث الثالث :ثقافياً دينياً	**70**
أولا: التعليم	**70**
أ–التعليم الإسلامي الحر	**70**

ب–التعليم الفرنسي	**71**
ثانيا:القضاء	**74**
ثالثا:الأوقاف	**77**
رابعا:مدارس أباء والأخوات البيض	**77**
الفصل الثالث: انعكاسات الاتفاقية على أهل ميزاب والمقاومة الوطنية في الصحراء	**81**
المبحث الأول:انعكاساتها على سكان ميزاب	**81**
أولا:انعكاسات السياسية	**81**
ثانيا:انعكاسات اقتصادية	**82**
المبحث الثاني: انعكاساتها على المقاومة في الصحراء	**83**
أولا: مقاومة محمد بن عبد الله	**83**
ثانيا: مقاومة أولاد سيدي الشيخ	**86**
أ– انعكاسات سياسية والإدارية	**90**
ب–انعكاسات اقتصادية	**91**
المبحث الثالث:انعكاساتها على مسألة التجنيد	**93**
الخاتمة.	**101**
الملاحق	**104**
قائمة المصادر والمراجع	**114**

ملخص الدراسة:

تطرق البحث إلى دراسة العلاقة بين السلطة الفرنسية الاستعمارية وسكان وادي ميزاب من خلال اتفاقية الحماية29أفريل1853م، والتي نصت على الاحترام المتبادل بين الطرفين في مختلف المجالات السياسية العسكرية والاقتصادية والثقافية الدينية .لكن سرعان ما تدهورت العلاقة وانعكست سلبا على أهل ميزاب والمقاومة في الصحراء وتم بذلك إلحاق المنطقة سنة1882م.

كلمات مفتاحية:سكان وادي ميزاب، اتفاقية الحماية، العلاقة، المقاومة في الصحراء، إلحاق.

Abstract:

The research touched on the study of the relationship between the French colonial authority and the residents of the Mizab Valley through the agreement of April 29, 1853 AD, which stipulated mutual respect between the two parties in various political, military, economic, cultural and religious fields. However, the relationship quickly deteriorated and had a negative impact on the people of Mizab and the resistance in the desert, and thus the region was annexed in 1882 AD

Keywords: Residents of the Mizab Valley, protection agreement, relationship, resistance, annexation.